



رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مكتب البلاد العربية

٤٠

الكنّتي

(مجموعة قصصية)

الدكتور / عبد الرزاق حسين

أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

العبيكان
Obëikan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حسين، عبدالرزاق

الكتبي./ عبدالرزاق حسين.- الرياض، ١٤٣١هـ

١١٢ ص؛ ١٤ × ١٢ سم

ردمك: ٧-٩٧٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة - السعودية

أ- العنوان

١٤٣١/ ١٧٥٥

ديوي ١٩٥٣١، ٨١٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/ ١٧٥٥

ردمك: ٧-٩٧٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

العبيكان
Obeykan

التوزيع: مكتبة

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ١٨ ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ١٢٩ ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

العبيكان
Obeykan

الناشر: للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٥٧٤ ٢٩٢٧٥٧٤ / ٢٩٢٧٥٨١ فاكس ٨٨ ٢٩٢٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obeikedaal.com

obeikandi.com

المحتويات

٧	مقدمة
٩	الكنُتي
١٣	من أوراق كنُتي
١٩	الأنفال و السيف و المهرة
٢٣	الخاتم
٣١	الحكواتي
٣٥	الماسورة
٤٣	تأشيرة هجرة
٤٩	مسالم بن محارب
٥٥	صاحب الكلب
٦١	لعبة الكالة
٦٩	أحلام مدمن

٧٥ دراجة الموت
٧٩ وسوسات أبي ذر
٨٧ المذهب الزعنوفي
٩٣ الجاهز
١٠١ موت شجرة الكرز



مقدمة

صوت الماضي يكسر حاجز صمت الحاضر، يعلوه، يبعث في
أوصالي الدفء، يشرق أمل من طيَّات البعد، سراب ذاك؟ أم مجد
ينفض عن كتفيه غباراً؟

أحلام وردية؟ أم عرق ينبض في قلب الكُنْتِيَةِ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قمر علويّ الطلعة؟ أم هالة نور تحتاج إلى نسّاج ينسج فجراً
قمرأ؟

كنت أخوض عباب البحر مع الماضي، والحاضر حطم مجدافي.
أحمل كل بطاقات السفر عبر موانئ لا تحصي، الحاضر أوقف
تباري، مزق تذكرتي، أحرق تأشيرة سفري.
عبر الدنيا تاجي يألُق فوق الرأس الشامخ، يُنزَع، قدماي تجول
تخوم الأرض، قيد يوهيها.

ولساني عربيّ لا أحتاج لغيره، يُقَطع، أُمْنَحُ ألسنةً أخرى.
جلدي يعرفه من في الأرض، لوني جذاب السمرة، يسلم جلدني.

الغوص على المجد كالغوص على اللؤلؤ، في وقت تقطع فيه الأنفاس،
و الأجراس تدق: اللؤلؤ يحتاج إلى غواص، وأنا عدة غوصي قد سقطت
في قاع البحر.

أ. د. عبد الرزاق حسين



الكُنُتي

لم يكن هيكلاً لمخلوقات انقرضت، بل هو حقيقة واقعة تمشي على رجلين.

أسئلة كثيرة كانت تبحث عن إجابة، لعله استطاع أن يفلت من الموت، أو ربما يكون قد تذوق الترياق الذي يطيل العمر، هذا ما كان يدور في أذهان حسني النية، أمّا أسنة السوء فكانت تحاصره، وتدور عليها أسئلة كلها تصب في دائرة اتهامه بالجنون، أمّا ضحكاتهم وعيونهم الساخرة فكانت تصفعه كلما مرّ في أحد الأزقة، وهو يضع حول رأسه عصا حمرء، ويتمنطق سيفاً يتدلّى من خصره.

هذه الأسئلة التي كانت تضطرب في رأسي أيضاً يميناً وشمالاً، وجدت لها جواباً عند من عرفوا أبا مصعب، فهو على حد قولهم ليس كبيراً جداً، بل لم يتجاوز الخمسين، ولم يؤثر عنه تصرف واحد يدينه بالجنون، ولكن أسلوب حياته، الذي فرضه على نفسه، أدى إلى نفور الناس منه.

ومع ذلك ألفتُه بعد أن اقتربت منه، وألفني هو كذلك، وكثيراً ما كان يشكو إليّ نفور الناس، الذين لم يستطيعوا تفهّم نظريته التي يريد إثبات صحتها، إلى جانب أنه لم يكن يزا حهمم في شيء، لم يكن يحلم كما كانوا يحلمون: بالثروة والجاه والسلطان، ولم يقض مضجعه: أين يقضي عطلة نهاية الأسبوع؟! فلماذا لا يتركونه وشأنه؟ وكثيراً ما كان يحتد في أثناء حديثه عن تلك الخصومة، فيعدل من عصابته، ويعلي صوته، قائلاً: لماذا لا يتركونني مع أحلامي؟ لقد تركت لهم أرض الواقع، وانزويت مع الماضي.

كنت أشفق عليه من تلك الفكرة التي تقمصته، فقد حرم نفسه من أطايب الحياة، التي كانت بين يديه، وفرض عليها تقشفاً لم تعتده، ومع ذلك فقد كانت أحلامه رحيبة رحابة الماضي، كانت كتب التاريخ عشقه وهواه، وخريطة قديمة معلقة على الجدار.

الماضي بالنسبة له هو الحياة، تغمره النشوى لذكرى تطوف بخياله، أمّا الحاضر فقد ضاع، ومن العبث البحث عنه.

اشترى بيتاً قديماً تزينه الأقواس، وتتنصب بين أركانه ونوافذه

الأعمدة، حتى لباسه كان يتخيره من الطراز القديم، أمّا أسماء أبنائه فهم مصعب، وعقبة، وعتيق، مع أنّه لم ينجب أبداً.

تخلت عنه زوجته بعد أن ضاقت بنمط تلك الحياة، ولم تستطع أن تتوافق مع هذه الردة التاريخية، وانضمت إلى ركب مشيحي إصابته بعقله.

واسيته بعد أن تمت إجراءات الطلاق، ولكنه تبسم ضاحكاً - وقلماً يتبسم - وقال: لا بأس على الحاضر، فقد كانت هذه الزوجة جزءاً منه، تربطني به، وتقيّد أقدامي التي كانت تهفو إلى عبور الزمن، لقد كانت المحيط الذي أعاق عقبة وحصانه عن الانطلاق، وأراني أشعر بيبوسة المحيط، يشدّ حزامه، ويشمّر عن ساقيه.

لولا معرفتي به لخضت مع الخائضين، ولكنه يغلوفي أحلامه، ويشتط: هل من المعقول أن تتحقق هذه الآمال التي مرّ عليها الزمن؟ فهذه الخريطة القديمة تبين زحف الغافقي على باريس، وانطلاق الأغالبة لحصار روما.

حاولت كبح جماح تعلقه بالماضي، وبناءً على استشارة أحد أصدقائي الأخصائيين في علم النفس، كنت بين الفينة والأخرى أستعمل الصدمة، التي ثبت جدواها في علاج الأمراض النفسية، فكلما دخلت عليه أمسكت بمطرقة الحاضر، وأدنيتها من أمّ رأسه، وكالصاعقة جعلتها تهوي محدثةً دويّاً هائلاً: الانفصال، إغلاق الحدود، القتل، السجن، الإرهاب، التمزق. وكنت أتوقع ردّ الفعل، لأنه

كما يقال: لكل فعل ردُّ فعل، ولكن الشفاه الجامدة كانت تفتُرُّ عن برود وسخرية، ثمَّ ينهض من مقعده، ويتجه إلى الخريطة، فيحمل مؤشره، ويشير به إلى جزر البحر المتوسط (صقلية، مالطة، كريت، قبرص) قائلاً: هذه البحيرة عربية، هكذا يقول الماضي. وأنا أثق بما يقول.

انشغلت عنه مدّة، ولكن فاجعة السقوط في حرب حزيران ١٩٦٧م ذكرتني به، فهرولت إليه مسرعاً، وأنا عازم على إعادته إلى أرض الواقع، كي نواجه الحاضر: كالسيل. الدفاع والزبد يملأ أشداقي، صببت عليه نار الحاضر، فاندفع إلى كتاب عن صلاح الدين، وغمر وجهه بين دفتيه.

أعلنت سخطي عليه، بل أصبحت من المروجين لشائعةٍ إصابته بعقله.

كان ذلك بداية القطيعة بيني وبينه، ومع أنّي كنت أشعر بالأسى لما فعلت، فأنا الصلة الوحيدة التي تربطه بهذا الحاضر، فإنَّ المسافات باعدت بيننا، فشغلت عنه.

عدت قبل أشهر على إثر الاجتياح الصهيوني للبنان، وفي نفسي حاجات، توجهت أوّل ما توجهت إلى بيت أبي مصعب، فوجدت جمهرة من الناس حول البيت، وكانت الصدمة! لقد عاد أبو مصعب إلى الماضي، أصبح حلماً، طار بجناحيه، وعبر دائرة الزمن بعد أن حلّق طويلاً فوق الحاضر.

الناس يجلسون حول أعمدة البيت، وتحت الأقواس، وعيونهم معلقة على الخريطة، ويبدأ أحدهم مؤشر أثبتته على مدينة قرطبة.

من أوراق كُنتي

صاحبنا الزناتي حدّد أعداءه، الحاضر واللصوص، كنا نسخر من هذا التحديد، ونستفزه بالأسئلة.

- ما الذي فعله بك الحاضر؟

فيجيب، وكنا نظنه يهزل: ابتلاني بكم، وابتلاكم بي.

- ثم ماذا؟

- أجبرَ عمودي الفقري على الانحناء.

نقحه، ويزداد استفزانا.

- وما الذي سرقه اللصوص من بيتك؟
وأنت إذا دخل اللصُّ بيتك أخذته الشفقة عليك!
فيردُّ وكأنه جادُّ فيما يقول:
- سرقوا شواهد القبور، وبوابة العبور.
ثمَّ ماذا؟
- سيف جدِّي البتار.
في أحد الأيام جاءنا مذعوراً:
اللصوص سطوا على بيتي، اغتتموا فرصة سفري عبر التاريخ إلى
جبال المجد، فسلبوا كلَّ ما أملك.
- وهل تملك شيئاً؟
- نعم، دفتر مذكراتي، وشاهدي الوحيد على قضيتي.
هبَّ أصحاب النخوة - وكنت من بينهم - وبدأنا البحث، نزلت
إلى الحديقة، وعند إحدى درجات السلم الأرضية، وجدت دفترأً
صغيراً داسته الأقدام، وتلطَّخ بالوحل، التقطته، وما إن فتحت فمي
لأزفَّ البشري حتى أطبقه حبُّ الاستطلاع.
فتحت الصفحة الأولى، وقرأت:

(في مثل هذا اليوم، نامت باريس على أنعام سهيل خيل الغافقي،
وفي مثل هذا اليوم تحطّمت الطائرات عند الفجر!).

قلّبت، لم أستطع أن أتبيّن خطوط الكتابة، فأثار الطين والأقدام
ألصقت بعض الأوراق المتتابعة، ها هي ذي ورقة من الممكن قراءتها:
(لا تصرخ يا أبا تمام، فالتين والعنب، وكلُّ أنواع الثمار والفواكه قد
نضجت، وسقطت على الأرض، ولم تجد الأيدي القادرة على لَمِّ الزبيب
والثمار المجففة!).

أزحت ما علق على الصفحة التي تليها، فإذا به يوم السبت، ويذكر
فيه:

(أنَّ صحف اليوم قد أوردت خبراً عن فيلم، يعرض لما نال أطفال
اليهود في أوروبا في الحرب العالمية الثانية، في الوقت نفسه كان
أطفالنا يعبرون بحر البقر!).

لم أستطع أن أفهم الكثير من العبارات والإشارات، التي وردت
في صفحات متتالية، فبعضها أسماء لرجال مثل: (خالد، عقبة،
طارق، صلاح الدين، ابن تاشفين، الفاتح، عمر المختار، العظمة،
القاسم..!).

وبعضها أسماء لمعارك، مثل: (بدر، ذات الصواري، فتح الفتوح،
القادسية..!) إلى غير ذلك من الرموز، التي تتحول أحياناً إلى حروف
أو أرقام.

بدأ الطين يخف أثره، ها هو ذا يوم الأحد:

(بيروت تُمهر بخاتم صهيون)، وفي الورقة المقابلة (نبوءة العهد الجديد بالتقاء صهيون ومار مارون)

في الاثنين: (احتجاج شديد اللهجة من قبل مندوبينا في الأمم المتحدة. ما ضاع حق وراءه احتجاج شديد اللهجة!).

وفي صفحة الثلاثاء: (اتفق العرب على أن لا يتفقوا، حرب البسوس عادت، يا لثارات تغلب، يا لثارات بكر!).

عدت أقلب الصفحات، حتى وقعت على صفحة واضحة:

عاد كسرى، كسرى يعيش مرّتين، وعظ البحترى إيوان كسرى، وأصبحنا موعظة.

وفي الصفحة التي تليها:

انتصار عظيم يحققه العرب، وصول ثلاث فرق عربية إلى مدريد،

هل عادت الفتوح...؟!

اليوم نفتتح كأس العالم.

وتحتها مباشرة كُتِب:

فتاة في عمر الورود، تقود سيارة مفخخة، مزقتها بعد أن فجّرت

قافلة للعدو.

أين أنت يا ابن أبي الربيعة:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانبات جرّ الذبول!

وفي الصفحة قبل الأخيرة كتب:

(... بياض أو سواد، ليل أو نهار، حلاوة أو مرارة، حزن أو فرح، حياة أو موت، فراغ أو انشغال، جوع أو تخمة، صحة أو سقم، هزيمة أو انتصار... استوت الأشياء!).

سمعت صوت أقدامه وهو ينزل درجات السلم، أسرع فتحت آخر صفحة، وجدتّها خالية إلا من أثر أقدام اللصوص، أطبقت الدفتر، وأنا أحس أنفاسه اللاهثة.

لم ينتظرنّي لأناوله شاهد القضية، بل اختطفه من بين يدي، وحضنه بين ذراعيه كالأب الحاني.

انتهت مهمتكم، هذا ما صرّح به وهو يحدّق بنا، ومن عيونه لمست ما غاب عني فهمه من أوراقه.



obeikandi.com

الأنفال والسيف والمهرة

صوت أبي نصر يشق بهيم الظلمة، وهو يرتل آيات الأنفال، تتزاح العتمة، ويبرق فجر، يمضي في ترتيله، ينسكب شعاع ذهبي عبر النافذة الخشبية، يتلظى حدُ السيف الخارج من غمده، المثبت في مسمار في الجهة القبليّة والمتعامد فوق الرأس الساجد، يتفرق في صفحته سفر النصر، يتهادى تاريخ يعبق بالمجد، وتلوح بيارق.

في ظهر السيف جدار، والمهرة تصهل في الخارج، فيضج سهيل الخيل: أحلاماً، آمالاً وسنابل.

يطوي أبو نصر المصحف، يتمطى، يقف، يتناول سيفه، يضعه على عاتقه بلا جفن، يتوجه إلى مربط المهرة، يضربها على مؤخرتها

بضع ضربات خفيفة بيده، يمسح عرفها، ثم يأخذ رأسها في صدره،
 تحمحم، يفك الرسن، ويضع رجله في الركاب، ثم يعتدل فوق السرج
 الملتحم بظهر المهرة يعلوها أبداً، لا ينفكُ استعداداً للغارة واطرة أو
 موتورة، يهزمها فتروح تسابق مُرْبِعَةً حدّ الخوف، تعبر أفق الماضي،
 ويطول الجري، وعلى مقربة من نهر، تحفر بحوافرها المنزلة في
 الطين أخذوداً يفصل بين الأنفال وجري المهرة، تحمحم، فيجيب
 النهر صدى، يهزمها، لا تتقدم، ينطلق بصوت كالرعد القاصف:
 ياعقبة... فيجيب صده زبد النهر، وزخات رصاص تستعر، وتحدّر
 من فتحات حصون، تشمخ فوق جبال ورؤوس ومناكب.

وصهيل (الفانتوم) يكسر حدّ الصوت وحدّ الجراة، وتمر الجولة،
 فالحرب سجال.

يهيئ أبو نصر نفسه للنزال، فيمتشق حسامه كمخراق لاعب،
 يُصَلِّتُهُ بين أذني مهرته، يضرب خاصرتيها بساقيه، ينطلق مائلاً
 بجسمه، ليمزق صدور الأعداء، وتترأى له الرؤوس تتساقط متتابعة
 من خلال عرف مهرته، الذي يُطَوِّحُهُ الهواء بعنف.

وتسفر الجولة عن مهرته وقد تسربلت بالطين، الذي قيدها قيد
 الأوبد، فيحول بينها وبين المعمعة.

والجولة تتبعها جولة، والنصر أكيد، فالحق معي والصبر، يتلاعب
 بالسيف يميناً وشمالاً وأماماً وإلى الخلف، تنزلق رصاصه، تُحَدِّثُ
 صلصلةً، وتفجّر شرياناً، تعلقو الابتسامه وجه أبي نصر، وتتمتم شفثاه:
 (إن يمسسكم قرح...).

ينقل المعركة إلى الجهة الأخرى، فالركن الأيسر ما زال قوياً، ولا بدّ من جولة أخيرة، فممرُّ النصر وطريق الجنة باتجاه اللافتة المنصوبة فوق الجسر، المؤدّي إلى الأنفال، وحدِّ السيف، وصهيل المهرة.

كوكبة من عسكر تحصره، شاهرة في وجهه فوهات، لم تعرف طعم البارود ولدع النار.

يعرف أكثرهم، تلعوه الدهشة، طيّات ملامحهم وملا بسهم تحمل عار الجبن وسفر الذل، تشهد زوراً وأمام التاريخ، وفوق رؤوس الأشهاد بأنهم ما زالوا للوطن سياراً.

يمسك أحدهم بلجام المهرة، والآخر ينزع مقبض سيفه، يفرس طرفه تحت الصخر، وبكعب حذائه يضربه ضربات، يتماوج، يبرق حده، وأمام عيون ترمقه يُلقَى في النهر، يرسل صوت ارتطام يعبر أذني أبي نصر، الذي يظنه صليلاً، يبتسم وهم يشدون وثاقه بعد إنزاله عن ظهر المهرة، ويضغطون عظامه لتقترب يده المصابة من السليمة، تُعَصَّبُ عيناه، يضرب خلف الجند على غير هدى، أنفاس المهرة تصحبه، تبعد عنه، تتخلّى عنه، فقرار الأمر يحرمه عقب العرق الناضح من صدر المهرة، التي تصيح ملكاً من أملاك الدولة، ويساق هو بتهمة حمل السيف، وعبور الخوف، وإشعال لظى حرب في الصيف.

السيف البتّار مُلقَى في قاع النهر، والمهرة تربط في إصطبل سباق، وتشيح الرؤية والعمر في قبو يدعى زنزانة، يسكنه ذاك المدعو أبو نصر، وبهذا تم الفصل بين الأنفال، وحدِّ السيف، وصهيل المهرة.

obeikandi.com

الخاتم

تقف باعتداد على الساحل، وكأنها تقبض على ناصية البحر،
تخشى هروبه، وهو يموج تحت قدميها: كمحب خاضع، أو كعبد ذليل.

في شموخها صامته، وكأنها اكتفت أن تكون عبدة، صامدة في وجه
الزمان، والريح، والموج العاتي.

شجيرات المصّيص النابتة في مفاصل الجدران تتدلى بأزهارها
الصفراء: كالثرثريات بمصاييحها المضاءة.

محاولة شاقة لأسراب النحل في الصعود للحصول على الرحيق،
والعصافير اتخذت منها مكاناً آمناً من مقاليع الفتیان، وحنناً لأعشاشها.

أما الطيور البحرية فقد جعلت منها مكاناً للمراقبة، بعينها الحادة تستطلع قاع البحر، الأفواج المنقضة، وتلك الصاعدة بالغنيمة تشبه ميدان سباق، والأسماك هي الغنيمة والجائزة.

اللون الأخضر القائم يسيطر على المكان، فالقواعد التي اعتادت على لطم الموج وتسلق الطحالب، والجدران الممتلئة بالعديد من الشجيرات الصغيرة، التي تجد لها اسماً، وأحياناً تصيبك الحيرة في التعرف عليها، تقنّعت بالخضرة.

الأحجار الضخمة، والأعمدة الغليظة، والنوافذ الضيقة، والحركات المتقوسة، كل ذلك يوحي بالرهبة.

القلعة بمثابة مركز الزمان والمكان، فالتوقيت بمكان الشمس والظل منها، والمواعيد تتحدد على ضوء الزمان، والجهات شرقاً أو غرباً، جنوباً أو شمالاً.

ومع كونها معلماً بارزاً في حياة تلك البلدة الهادئة على سفح الجبل المطل على البحر، إلا أنها لا تثير الرغبة في التعرف عليها، والاطلاع على معالمها الداخلية، وكأن الألفة لا تبعث على الدهشة والانبهار ومحاولة الاستكشاف، أو أن ذلك راجع إلى تلك الإشاعات القوية، التي استقرت كعرف، والتي تزعم بأن الجن والأشباح والأرواح اتخذت منها مسكناً، فحُث القتلى من المسلمين والصليبيين المركومة في داخل القلعة، تبعث في الليل كما يزعمون، وتعيد الحروب الصليبية.

وقد ادعى كثير منهم سماع صليل السيوف، وأصوات استغاثة، وأنات الجرحى، وبالع البعض في أنها تضاء ليلاً.

رجل جاء من الشمال، يدعى أن اسمه ركن الدين الأيوبي، ملامحه صامدة كالقلعة، ولكنها تثير الشفقة، صامته، ولكنها لا تثير الفضول.

دعواه بأنه من أحفاد صلاح الدين طمأنت الجميع بأن من في مثل عقله لا يخشى منه، أما دعواه الأخرى بأنه يحمل خاتم صلاح الدين، فقد أثارت السخرية والتندر من حوله. ومع ذلك فقد تمّ الاتفاق بين الطرفين:

طرف أول: أهل البلدة.

طرف ثان: ركن الدين الأيوبي حفيد صلاح الدين وحامل خاتمه.

اتفق الطرفان على أن يؤجر الطرف الأول للطرف الثاني القلعة مقابل خمسة أرطال من السمك أسبوعياً، يدفعها إلى بائع السمك الذي يقوم ببيعها إلى أهل البلدة، ثم يدفع ثمنها إلى المجلس البلدي، على شرط أن لا يساكنه أحد أو يزوره، ولا يحق لطرف بمفرده فسخ العقد، وفي حالة إصرار أحد الطرفين على ذلك فإنه يقوم بتعويض الطرف الآخر، بما يوازي المبلغ المدفوع من تاريخ الاستئجار إلى تاريخ فسخ العقد.

أكثر من ثلاثين عاماً، والقلعة هي ركن الدين، وركن الدين هو القلعة، لا يثيران اهتمام أحد.

فركن الدين علاقاته محدودة، لم يغير نظامه ولو لمرة واحدة، فهو يظهر في البلدة مرة واحدة كل أسبوع، حيث يدفع الأجرة، ويبيع فائض السمك، ويصلي الجمعة، ويعود إلى قلعته ليباشر حياة البحر.

كاد الناس ينسون ركن الدين، ولولا تلك الشائعات، التي بدأت تضح بها القرية، وتلووها الألسنة لظل بلا حساب.

الهمسات تدور حول ما تخفيه القلعة من كنوز، هذا ما أسرَّ به أحد مدعي السياحة الأجنبي، لبعض المتسكعين حولها.

الخبر انتشر كالنار في الهشيم، اجتمع المجلس البلدي للبت في أمر ركن الدين والذهب، الذي وضع يده عليه، ويقوم بتهريبه يوماً عبر رحلاته البحرية في قاربه، تحت غطاء صيد الأسماك.

(الطرد، السجن، القتل) ثلاثة آراء متعارضة، كانت نتيجة هذه الجلسة العاصفة، وكانت مثار أحاديث أهل البلدة، فانقسموا ثلاثة أقسام، وبقي رأيان:

رأي رئيس المجلس الذي يرى أن يعاقب بالعقوبات الثلاث، ورأي بائع السمك، الذي يرى أن تبقى الأمور على ما هي عليه، استناداً إلى شروط عقد الإيجار، الذي لا تستطيع البلدة أن تخلَّ به، وإلا دفعت أكثر من عشرة آلاف رطل سمك.

إلا أن رأيه لم يلتفت إليه، لأنه كما يدعون هو المنتفع الوحيد، ولعله شريكه، لأنه يتستر عليه.

اجتمع المجلس البلدي والفئات الثلاث، وناقشوا قضية عشرة آلاف رطل السمك، وخرجوا بالإجماع على أن القتل ينقذهم من الدفع، ويوفّر لهم الذهب المزعوم.

الشمس تكاد تغرق في البحر، العيون ترقب القلعة، بائع السمك يتسلّل من بين الصخور، ليصل إلى المرسى، الذي اتخذته ركن الدين لقاربه، كي يحذره من تأمر أهل البلدة...

الليل يخيم على الجميع، والأحلام تقض مضاجعهم :

شابٌ عقد قرانه منذ مدة ولم يتزوج، لضيق ذات اليد، يفكر في قتله ليلاً والاستئثار بالذهب.

آخر باع أملاكه على ملذّاته، وتراكت عليه الديون، يفكر في الطريقة التي يستطيع بها الحصول على الذهب.

حتى رئيس المجلس ذهب ليضع الخطط مع رجاله، ليفوز بالكنز وحده، وليقف في وجوه أثرياء البلدة، ويطاولهم في شراء أراضيها.

النساء بدأن في حث أزواجهنّ للتفكير في محاولة الحصول على الذهب الذي أخذ يبرق في عيونهنّ، فيشعّ على النحور والصدور والمعاصم.

لم يبق أحد في تلك البلدة لم ينشط خياله، فعمود الزواج ستبرم،

والشوارع ستعبد، والكهرباء والماء والأدوات الكهربائية والمشاريع التجارية والصناعية، كلها أخذت حظها من التفكير.

نامت البلدة على وسادة من ذهب، واستيقظت بأسرها على أصوات انفجارات، هزّت أحلامهم، وأقلقت مضاجعهم.

يا إلهي...! ماذا؟.. القلعة.. القلعة تحترق..! وبانقشاع الدخان والغبار تقطعت أوصال القلعة، التي ظلّت صامدة على الزمن.

ولأول مرة تعبر البلدة حاجز الخوف، وتدخل القلعة.

صرخ أحدهم: ها هوذا ركن الدين تحت الأنقاض.

محاولات نجحت في إخراجه، وضع أحدهم أذنه على صدره: لا زالت به الروح.

فتح ركن الدين عينيه، نظر إلى من حوله، رأى بائع السمك، فأشار له بيد لا زال الدم يتدفق منها، اقترب البائع، همس في أذنه، ثم خلع خاتماً من إصبع دامية، وقال في ثقة: هذا خاتم صلاح الدين، ورثته عن أجدادي، فحافظ عليه، ثم أغمض عينيه...

لحظات حيرة وارتباك عمّت الجميع .

تقدّم رئيس المجلس، وقال: لعلّ هذا الخاتم من الذهب المدفون في هذه القلعة .

وقال آخر: حقاً ما تقول، لعله من الكنز المدفون.

وقال ثالث: لا بد أن نأخذه للمدينة، ونعرضه على صائغ، فلا يجوز أن تذهب بالغنيمة لوحده.

اختلاف أدى إلى تماسك بالأيدي وعراك، كانت نتيجته سقوط الخاتم بين الأنقاض.

البحث عن الخاتم والكنز المدفون سيد الموقف، وركن الدين ملقى بين الأنقاض.



obeikandi.com

الحكواتي

تحليلات الصحف وتعليقاتها تؤكد بأنّ الحرب وشيكة الوقوع، سحب التشاؤم تعلقوا سماء بيت أبي رحّال، يضيق به البيت وبأسئلة زوجته عن مدى جدية هذه الأخبار، يخرج يبتلعه السوق، يسلمه شارع لآخر، ليس هناك من دليل على جدية هذه الأخبار.

الاستعدادات للمعركة لا تبدو آثارها على العاصمة أو وجوه الناس، كلُّ شيء عادي، ما هو غير عادي عند زوجتي، لعلها معذورة، فابناها الاثنان طياران في سلاح الجو.

أحسّ بتعب شديد، وهو ينتقل من مكان لآخر، وعلى بعد خطوات رأى مقهى العروبة، لا أحبُّ جلسات المقاهي، ولكنني أشعر بتعب

وإرهاق، سأتناول كوباً من الليمون حتى ألتقط أنفاسي، ثم أعود أدراجي.

على أقرب كرسي جلس، يا له من مقهى رائع! يستطيع الإنسان أن يقضي فيه وقتاً هادئاً.

لم أرفي حياتي مقهى يضم كل هؤلاء الزبائن، وبه مثل هذا الهدوء!

زال عجبه عندما تجوّل بنظره داخل المقهى، إذ وجد رجلاً يجلس على مصطبة عالية، وخلفه لوحة قديمة يبدو أنّها رسم لمعركة قديمة أيضاً، الخيل والسيوف والحراب والفرسان.

عيون الجميع معلقة بالجالس على المصطبة، وأذانهم مصغية:

سهل الأبحر، وانطلق الفارس الأسود، يحصد الرؤوس بسيفه، ولكنّ عدوه اللدود الزباد بن الربيع ومنافسه على قلب عبلة، حضر له حفرة، غطاها بأغصان الأشجار، وبرز الجبان لعنترة، فصرخ عنتره: إليّ أيها الرعيدي! ولحق به، لحظات وإذا بالأرض تبتلع الأبحر، ويهجم الفرسان، ويخرج عنتره مقيداً.

همهمات تشقّ حجاب الصمت، ارتفعت لتصبح ضجيجاً، مال أحد الجالسين، وهمس في أذن رفيقه: أظنّ لو أنّ عنتره كان موجوداً سيحدث لنا ما حدث؟

يردّ رفيقه: والله يا شيخ بضربة من سيفه يتغير الحال.

يستغل الحكواتي فرصة الوقت الضائع، وتمتدُّ يده إلى إبريق الفخَّار، فيتدفق الماء البارد إلى فمه وصدرة وملا بسه، وكأنَّه يستروح من حرِّ الصيف.

تحوّل الضجيج إلى هتاف عالٍ، وقبل أن تشتعل ثورة عارمة، وقف أحد المتحمسين، وصاح بأعلى صوته:

عليك أن تخرج عنتره من السجن، ولوّحت القبضات المؤيدة مدعّمة بأصوات الاحتجاج على سجن عنتره.

حوقل أبو رحّال، ونظر صوب السجن المركزي: أه.. كم من بريء يضمه هذا السجن، وما سمعنا صرخة احتجاج واحدة.

أطلّ صاحب المقهى، وأعلن شروطه لإخراج عنتره من السجن. وبصوت واحد صاح الزبائن: هات جدّد.

وتزاحمت أكواب الشاي والقهوة والكاكاو، وصرخ أحدهم: واحد زنجبيل على حسابي لأبي رضوان الحكواتي.

يتنهد أبو رحّال، ويهزُّ رأسه، وهو يقول: حتى صاحب المقهى يستغل التراث، ويتعامل مع التاريخ.

يستعيد المقهى هدوءه على صوت أوّل رشفة من الزنجبيل الحار: نظر عنتره إلى القيد، تبسّم، ثمّ اضطجع على جنبه، ولكنّ صوتاً يعرفه حقّ المعرفة دوّى في أذنيه، إنّه صوت عيلة: وا عنتراه.. وا عنتراه...

ويغلي الدم في عروق عنترة، ويزمجر صوته القوي، فيسقط
باب السجن الحديدي، يصرخ أحد الجالسين: الله أكبر، الله أكبر،
فيردها الجميع.

شدَّ بكلِّ قوته، فارتخت حلقات القيد، انفتحت، تكسّرت، هجم
عنترة، وخلصَّ عبلة من الأسر والعار.
ضجَّ الحضور بالهتاف والتصفيق.

يبتسم أبو رَحّال، ويقول: هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك! ولكن دعك
من سؤال الخيل، فصليل سيف محبوبك لا زال يقرع في بوادينا. شرب
كوب الليمون، ومع آخر رشفة تأكّد أنّ الحرب ليست وشيكة الوقوع، كما
تصورها أجهزة الإعلام، فلتطمئن أمُّ رَحّال على ولديها.

وصل إلى بيته، توجه إلى سريره، غطّ في نومه، وقبل الفجر
استيقظ كلُّ الناس -وأبو رَحّال منهم- على صوت الانفجارات، هبَّ
مذعوراً، وهو يصيح: عنترة، عنترة، وا عنتراه.

حاولت زوجته أن توضح له الأمر، لكنه دفعها بقوة، وخرج يعدو،
وصل إلى المقهى: أين المقهى؟

أين عنترة؟!

أين الحكواتي؟!

أين زبائن عنترة؟!

الماسورة

في منتصف ليل العاشر من الشهر الثاني خرجت من خندقي، لأقوم بغفارتني، كان الجو شديد البرودة، وزخات المطر تضرب بعنف وجه الأرض، وأنا لازلت في ملابس الصيفية، مع أن الشتاء قد شارف على الانتهاء، إذ لم يتم صرف الملابس الشتوية لأننا في حالة حرب، والدولة بحاجة لكل قرش، وعلينا أن نصبر.

تعثرت في عودتي لشدة الظلام وزحاليق الطين، فكشط ساقني، وعندما وصلت إلى الوحدة شاهدني الأمر على ضوء المصباح والدم ينزف، فقال: هل أصابك سوء؟

أشرت إليها! ضحك وقال: تستحق!.

لم أجد شاشاً أو حتى دواء أحمر، لأوقف النزيف، فأشار عليّ أحد الزملاء بفمر الجرح في الطين، وفعلاً حدث ذلك وتوقف النزيف.

لم أنم تلك الليلة، إذ أصبت بأنفلونزا حادة، بالإضافة إلى التهاب جرح الساق، وهذا ما عاقني عن القيام بواجبي نحوها، كما عودتها منذ عشر سنين.

عندما تسلمتها أخبروني: أنها تعادل الروح، وثبت لي أنها أهم من الروح! قد تنقطع المون، ويعز الدواء، وتتمر الشهور دون وصول الراتب، إلا أن أمورها تسير بانتظام، واحتياجاتها من القطن والشحمة والزيت والجراب لا تنقطع.

كان كل من في الوحدة يستيقظ من نومه مبكراً، ويهب إليها بعيونه الحمراء المنتفخة، فيحنني عليها مسحاً وتلميحاً، يضعها بين رجليه حتى لا تمس الأرض، يفتحها، يدخل الخيط المثبت بفليضة، يسحبه من الأمام والخلف عدة مرات، وبعد أن ينتهي، يقلبها بين كفيه وعينه، ثم يستشير زملاءه - وكأنه لا يثق ببصره - الذين يأخذون الأمر مأخذ الجد، فيبدون آراءهم.

وفي الصباح أطل علينا المفتش، كان كل واحد من أفراد الوحدة قد استعد للأمر، أخذ يقلب ماسورة ماسورة، حتى وصل إليّ، التقطها، فلمعت عيناه، وبسخرية لاذعة: وأخيراً وقعت! قالها، وكأنه اكتشف عميلاً سرياً، ثم أردف:

- ما هذا الإهمال يا شاويش؟

- ليس إهمالاً يا سيدي المفتش.

- ماذا تسمي بقع الطين التي تعلقو ماسورتك؟

أطرقت برأسي، بم أجيبه؟ هل أخبره بأن درجة حرارتي العالية تطبق على فكري و عيني و مفاصلي، و تحد من قدرتي على التفكير باسم آخر لما صنعت.

صمت، حاول أحد الزملاء أن يتدخل فأسكته بنظرة منه، ثم علق على عدم إجابتي سائلاً: هل تعلم نص القانون رقم ١٧٢ / ١٠٤٥ العام ١٩٦٠؟ لم أدرس القانون، ولا أهتم بنصوصه، ومع ذلك أحسست برغبة شديدة في معرفة نص هذا القانون، وبإشارة من حاجبي رددت: لا.

نص القانون أيها الشاويش المهمل يقول:

كل من أهمل في واجبه العسكري بترك سلاحه أو نسيانه أو إهماله يعاقب بالسجن لمدة ثلاثة شهور، مع إنزال الرتبة، وخصم نصف الراتب!

هالني النص، فلم أسمع من قبل بثلاث عقوبات مجتمعة لمخالفة واحدة .

تم تشكيل المحكمة العسكرية، وصدر الحكم بحبسي شهراً، مع إنزال الرتبة، والخصم.

توجهت إلى السجن، وعند الباب تذكرت الماسورة، من سيعتني بها طيلة غيابي عنها، ماذا سيحدث لها في هذا الشهر، انتفضت، وطلبت من الأمر أن تصحبني إلى سجنِي، وافقوا لوجهة الأدلة، إذ لا يمكن أن أعود إلى السجن بذنب لا يد لي فيه.

ناولنيها أحد الجنود، ضممتها برفق ودلفت.

امتد الظلام إلى تلك النافذة الصغيرة التي توجه إليَّ سياط البرد القارس، لم أستطع النوم. نظرت إلى الماسورة فوجدتها تتمتع بالدفع في جرابها الجلدي.

وامتدت يدي لنزع الغطاء ووضعته على أطرافي، التي بدأ الخدر يسري إليها، وبعد أن فككت جزءاً من الرباط، أحسست بحركة عند الباب، وعلى الفور أعدت الرباط إلى حالته الأولى، خوفاً من أن أتهم بالإهمال، فيتكرر شهر السجن والخصم! أما الرتبة فليس لها إلا فرصة أخرى، ولا أدري إن كانوا سيبحثون عن عقوبة ثالثة ليتم تطبيق المادة على وجهها الصحيح .

أسناني تصطك، أطرافي ترتعش، وأنت تتعمين بالدفع والعناية؟ حضنتها كما تحضن الأم وليدها، لتشعره بالحنان والدفع، كم أنت مكرمة أيتها الماسورة ومعززة. والأصل أن تمتهني لنعزلاً.

ماذا صنعت لترتفعي إلى هذه الدرجة؟

حرمت أناساً من أقواتهم، نجوع ونعري من أجلك.

أذكر أن أبا هاشم باع حماره.

ومحمود الصياد رهن شبكته.

وبهية تبيع بيض دجاجها لتوفر الضريبة المسمّاة باسمك! وأنت هنا تتعمين بالدفء، ولا تعلمين من أمرهم شيئاً.

انتهت مدّة إقامتي في السجن، خرجت، فاستدعاني الأمر، وبعد أن تلتطف بالقيام من مكانه، نزع رتبتني، وثبت على ساعدي رتبتني السابقة، التي أمضيت خمس سنين وأنا أجاهد للصعود فوقها، فنزلت في طرفة عين.

ما أجهلني...!! وهل يتساوى الصعود والهبوط؟! وقبل أن يجلس زوّدي بنصائحه: اعلم أيّها العريف -أصبحت عريفاً- أنّ سلاحك أهمُّ من نفسك، فحافظ عليه.

نظرت إلى التقويم المثبت وراء ظهره، فوجدت أنّنا في العاشر من الشهر الثالث، تذكرت أنّني لم أرسل شيئاً من راتب الشهر الماضي لزوجتي وأولادي، فاستأذنته في السؤال، ولما أذن، قلت:

راتب الشهر يا سيدي، أريد أن أرسل مبلغاً لأولاد، فالحالة لا يعلمها إلاّ الله!.

ابتسم ابتسامة باهتة، ثم قال: أظنك نسيت أنّ جزءاً من عقوبتك هو الخصم؟

- لا، لم أنس سيدي الأمر، أنا لا أتحدّث عن هذا الشهر، إنّما أسأل عن الشهر الماضي الذي لم يُصرف قبل دخولي السجن.

طمأنني على أنّه لم يصرف بعد، فالدولة في حالة حرب، وعلينا أن نتحمّل، فالمسألة مسألة وطن لا مسألة راتب!

تحسّست ماسورتني، وتهيّأت، ثم عدت إلى وِحدتي.

رسالة لك يا (شاويف)؟! رفعها أحدهم بين أصابعه، وسط ضحكات زملاء. شاويف؟! لعلها رتبة جديدة، استحدثت وأنا في السجن. أخذت الرسالة، فضضتها، السطور غائمة، فركت عيني، لقد أعشى السجن عيوني، إنها تؤلمني، لا أطيق فتحها، اقرأ يا حامد:

حضرة الزوج الكريم، بعد السلام والتحية، نخبرك بأن ابنك نضال قد مرض، وارتفعت سخونته فأخذناه للطبيب، وبعد طول انتظار علمنا أنه التحق بالوحدات الأمامية، وبحثنا عن علاج فلم نجد فكل الدواء للمعركة!

جال بصري في عيون زملاء! نعم كلّ شيء للمعركة.. هذا ما نسمعه في الإذاعة، ونشاهده في لوحات الإعلانات، وعلى واجهات دور اللهو، وجوانب الحافلات، ومواقف السكك الحديدية.

كل شيء للمعركة! شهادة الميلاد، وشهادة الوفاة، وعقد الزواج والطلاق، كل الرسوم والمكوس للمعركة.

كل الدواء للمعركة! وعندما أصيب صديقنا مجاهد ونزف طلبنا

كمية من الدم، فأجابوا بأننا في الخطوط الأمامية، وهناك صعوبة في وصول الدم إلينا، تبرعنا له من دمائنا، وعندما تزلقتُ و انكشطت ساقي عالجتها بالطين...

أكمل يا حامد! توقّف حامد، تسمّرت عيناه فوق السطور، وارتجفت الورقة في يده.

ماذا؟ أكمل يا حامد، لماذا انعقد لسانك؟

ما... ما... مات ابنك، توفي الولد لعدم وصول الفلوس!

لماذا؟ ألسنا جزءاً من المعركة؟ ساقي وابني و صديقي مجاهد! ألسنا رموزاً على خريطة المعركة؟!

سقطت الماسورة من بين يديّ، وتلقفني الجميع بالتعزية.

هذه الماسورة هي الوحيدة التي لم أسمع منها كلمة عزاء، هل أنت خرساء؟ انطقي، لن تتطقي!؟ سأجعلك تتطقين، تناولتها، شددت يدي عليها، أحسست لأول مرة بحنان غامر نحوها، حضنتها وكأني أحضن طفلي، قمت وعبرت الحدود، ولعلع صوتها، عدت إلى وحدتي وأخبرت الزملاء أنها وبعد عشر سنوات من الصمت تحولت إلى مدفع رشاش!.

تناقلت أجهزة الإعلام حديثها الصريح، وتم التحفظ عليها بإيداعها في مركز التحقيق، بينما أودعت مركز المختلين عقلياً!.

obeikandi.com

تأشيرة هجرة

ألقى بأخر قطعة ملابس من حقيبته في دولابه، فتح نافذة غرفته، وألقى بنظرة تائية على ناطحات السحاب، ثم ألقى بنفسه فوق سريره. علق عينيه بسقف الحجرة، فرحلتا به عبر الزمان والمكان.

أطلّ عليه ذلك الوجه المعروق:

- أنت حاتم؟

- نعم

- من أين أنت؟

- من قعر الغربة إلى حضن اللهفة.

- ولم؟

- الخوف، والجوع، والظلمة، واليأس، والوحدة، والضياع أسباب كافية للعودة.

- كلا، نحن نعلم عنك أكثر مما تعلم عن نفسك.

- اعترف تتج! وجودك في تلك البلاد لم يكن التعليم سببه، لماذا عدت؟

- حقاً، سأعترف لك: الشوق، الأمن، الرضا، الحي، الأسرة، الهواء، الشمس، اللّمة!.

- أنت تكذب، خذوه.

أخذوه ثم أعادوه، لم يُعد كما أخذَ.

الوجه المعروق: ماذا فعل بك هؤلاء المجانين؟

- لا شيء، أحدهم كانت قد سقطت أسنانه في الدفاع عن الوطن، فاحتاج إلى أسناني الأمامية. والتبرع لا يقتصر على الدم وحده.

أما الثاني: فهو من المدرسة التجريبية، التي لا تثق إلا بالتجربة، فعلى الرغم من أن كل كتب العلوم تقول: إن جسم الإنسان موصل جيد للكهرباء، إلا أنه يريد أن يتأكد بنفسه.

و أما الثالث: فالوطن بحاجة إليه، لأنه سيمثلنا في الدورة الأولوية للمصارعة الحرة، وهو بحاجة إلى تدريب مستمر.

الوجه المعروف:

- أعتقد أنك قد غيرت رأيك الآن، وستعترف.

- نعم، سجّل: الدفاء، الحب، الحنان، صوت أمي، زيتون بلادي، صباح الديوك البلدية، وإعلانات الباعة المتجولين، والحاملون فؤوسهم عبر شعاب الجبال!.

- أنت تكذب، خذوه .

أخذوه ثم أعادوه، لم يُعدّ كما أخذ .

- ماذا فعل بك هؤلاء المجانين؟

- لاشيء، ظنوني الواقف خلف الباب، ففتحوا في جسدي أبواباً.

- إذن ستعترف!

- اعترف نيابة عني، وسأوقع لك.

- الآن، والآن فقط نحن نرحب بك في بلدك.

تابع تداعي الذكريات!

حمل جواز سفره، وصوراً عن شهاداته العليا، وتوجّه إلى ذلك المبنى القابع على التلة المجاورة لقوى الأمن، وقف أمام الأسوار،

أظهر بطاقته وشهادته، سُمِحَ له بالدخول، قدّم أوراقه، بعد لحظات،
نودي عليه:

- مستر هاتيم.

سُرّ لسماع اسمه، وكأنه يسمعه أول مرة! امتثل، واقتاده أحدهم إلى
غرفة أنيقة، بداخلها رجل أنيق.

- مستر هاتيم.

- نعم.

- أهلاً وسهلاً.

- أهلاً بكم.

- لقد تفحصت أوراقك، وسأوافق على طلبك تأشيرة هجرة إلى
بلادنا، فتحن بحاجة إلى أمثالك، تعليمك العالي وتخصصك النادر
جواز مرور، ولكن لِمَ تهاجر مستر هاتيم؟

- ليصبح اسمي مستر هاتيم، ولأنسى حرف العين، فأنتم
تتلقونه ألفاً، وهذا سيسهل عليّ الكثير، وعلمت أنّ بإمكانني إجراء
عملية لقزحية العين في بلادكم.

- ولكن لون عيونك مستر هاتيم جميل، نحن نحب اللون الأسود في
العيون، ولا تنس أنّ العين السوداء الكحلأ أقوى وأحدُ نظرًا! ثمّ ماذا
مستر هاتيم، أحسّ أنك تريد أن تقول شيئاً!؟

- نعم مستر مورفي، علمت أنكم تمتلكون محطات تقوم بغسيل جيد، أريد أن أغسل آلاف السنين من قلبي وعقلي! يجب أن أنسى وجه أمي، وعزم أبي، وطعم الزيتون، ورائحة البرتقال، ونوار اللوز، لأعود إلى وطني مبعجلاً..!

لم يفهم مستر مورفي أو لعله فهم! ناوله جواز سفره مدموغاً بتأشيرة هجرة.



obeikandi.com

مسالم بن محارب

أُتساءل كثيراً عن سبب تلك الابتسامة الساخرة، التي تُؤلِّد في وجه كل من يدعوني بهذا الاسم؟

وأغيب في غابة من أسماء، وأعود كحاطب ليل، أُضِيء مصباحي ثم أُنثرها أمامي: جندل بن جبل، صعب بن سهل، طريد بن الشريد، حنظلة بن مرة! حتى النساء أسماءهن فيها من الغرابة أكثر مما يوحيه اسمي، فهذه قرادة بنت اليعسوب، وتلك حية بنت حنش، وثالثة قبيحة بنت وضاح!.

ومع ذلك، فلا أتصور أن اسماً من الأسماء لاقى صاحبه ما ألقيه،

من هذه الابتسامات الساخرة، التي تتعرعرع على الشفاه بمجرد ولادة اسمي على ألسنتهم.

بحثت عن سبب هذه السخرية، كنت أتمنى لو كان أبي حياً حتى أعرف منه سبب هذه التسمية، بحثت في كل أوراقه، عدت إلى كبار السن، ولكنني كنت أصطدمُ في كل مرة بجدار السخرية ذاته.

كم أتمنى حياتك ليوم واحد يا أبي، لتحلّ لي هذا اللغز المُحير المزعج، أياكون ملّ الحرب وأراد السلام؟! أم أنه كان من المختصين في بديع البلاغة، فأراد المطابقة؟! أم أنه رأى جسمي النحيل فأراد الرفق بي؟! أم أنه لم يكن يفكر في كل تلك الأمور؟! ويكون جدّي أو أحد الأقارب، أو لعله موظف دائرة النفوس، هو الذي تولى اختيار اسمي؟!

كان البحث في هذا الموضوع يُوجِّجُ السخرية بي، وكانت الشفاه المزمومة والوجوه المكفهرة تقول: لو أن كل واحد عاش يبحث عن سبب اسمه لتعطلت الحياة، فهناك أسماء أسوأ من اسمك، ومع ذلك فإن أصحابها يعيشون بلا قلق أو أرق، ثم إن هذه الأسماء مجرد أداة للمعرفة لا أكثر، حتى الكلاب أصبح لها أسماء، ليعرفها أصحابها بها!.

اصطدمت ببعض هؤلاء الساخرين، كنت أشتطُّ في صدامي معهم، ولكنّ وجوههم الساخرة وتعليقاتهم اللاذعة تظل تتراقص أمام عيني: كأشباح في ليلةٍ حالكَة السواد.

قال لي أحدهم: كن واقعياً، فالواقع هو الواقع، لن تمحوه بانفعالاتك.

وقال لي ثان: غير اسمك، واخُصّ من هذه المشكلة! اذهب إلى دائرة سجلّ النفوس، وبدِّله إلى اسم آخر يريحك، وتنتهي معاناتك.

ويصرخ آخر قائلاً: إياك أن تفعل ذلك، فهذه خيانة! نعم.. إنك بتبديل اسمك تخون أباك، إذ تُغيّر اسماً به سمّاك.

ويتدخل المتدخلون: أهذا هو البر بالآباء بعد وفاتهم، أم هو العقوق الذي أصبح العلامة المسجلة لهذا العصر؟ لم أستمع لكل رغائهم، فقد كانت هذه الفكرة الغائبة هي الدواء المنتظر، والمنقذ الأعظم الذي كنت بانتظاره!.

عدت إلى البيت، ودفنت نفسي بين كتب التراجم، لأختار اسماً مدوياً، يزرع الرعب في القلوب والمفاصل، ويزلزل هذه الوجوه الساخرة قبل نطقه، الضباب يغشي عيني لكثرة الأسماء المتشابهة، أصابعي تنزل وتصعد، وكأنها سرب طيور ينزل إلى سطح البحر، ثم يصعد إلى أعلى الجبل.

كان قلبي يخفق عند كل اسم له معنى جميل أو فضيل أو كريم أو عظيم! وفجأة يقف إصبعي عند اسم له من الروعة والهيبة ما له من الصيت والدوي! ولكنني صرفت النظر لخوفي من أن ينقلب السحر على الساحر، وتزداد السخرية، فهل يحق لمثلي أن يُسمى بهذا الاسم، وفي هذا الزمن بالذات؟

ويقف إصبعي مرة أخرى عند اسم رشيق أنيق، إنه هولا غيره، وأمسكت به إمساك الجائع بالرغيف، والموعود بالوعد، والمنتظر بالبشرى.

إنه عاهد، يا له من اسم مهذب أنيق، تلفظه الشفاه بكل يسر وسهولة! عاهد، نعم اسم يحمل معنى العهد يا أبي، ولن أخونك أو أعقك، سأغير اسمك إلى مجاهد، أعلم أنك لن تغضب مني، فمحبتك لولدك، وحرصك على مكانته بين الناس يمنعانك من أن تغضب! ولو كنت حياً ورأيت كيف يسخر من ابنك، لاقتتعت بصواب خطتي، ها.. لن تعتب أو تغضب يا أبي؟ عاهدني على ذلك.

جهزت نفسي صباح اليوم التالي، واصطحبت معي كل الأوراق الثبوتية حتى الشهود، وتوجهت إلى دائرة سجل النفوس. عملت كل الإجراءات دون تأفّف، فعادتي أن أتضجر من هذه، التي لها أول وليس لها آخر، لكنني كنت مقبلاً عليها، حريصاً على أدائها، من تقديم طلب وتعهّد، تتعهّد فيه بأن لا تغير اسمك مرّة أخرى مهما كانت الأسباب، وأكملت ما أحتاج إليه من طوابع وأختام وتوقيعات، كان رقمها الثالث عشر توقيع المدير العام، بعدها توجهت للصندوق ودفعت الرسوم، وقالوا: موعدك غداً الساعة الواحدة.

يكاد قلبي يخرج من بين ضلوعي، وأنا بانتظار وليدي القادم، الذي سيملاً عليّ حياتي بالأمن والطمأنينة، بعد لحظات سأسلم شهادتي الجديدة، أكاد أطيّر من الفرح.

صوت الموظف بدأ يعلو منادياً، الآن يصل اسمي، ها.. لعله بعد هذا، أو بعد هذا.

رقم ١٣ (معاهد بن مجاهد).

أَيُّكُون قَد أَخْطَأُ؟ أَمْ أَنَّ السَّمْعَ قَد خَانَنِي؟ أَنَا عَاهِدٌ وَلَسْتُ مَعَاهِدًا،
لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَطَأٌ مَا..!

أَخَذْتُ شَهَادَتِي، نَظَرْتُ فِي الْأَسْمِ، فَإِذَا هُوَ مَعَاهِدٌ، أَسْقَطَ فِي
يَدِي، وَتَطَلَّعَتْ حَوْلِي، فَإِذَا بِالْإِبْتِسَامَاتِ السَّاحِرَةِ كَالسِّيَاطِ اللَّاهِبَةِ
تَجَلَّدَ اسْمِي الْجَدِيدَ!.



obeikandi.com

صاحب الكلب

اغتمت فرصة وقوفي عند الإشارة الحمراء، فأدرت مؤشر المذياع.. صوت يطل عليّ من المذياع، ما هذا؟ ما الذي أسمع؟

حرّكت المؤشّر إلى الأمام والخلف، والصوت يزداد حدّة، ويتكرّر في جميع الإذاعات؟ تتسع مساحة الدهشة..! ويتسع معها تساؤل مرير: هل اتقنت إذاعاتنا العربية على توحيد الإرسال؟ صوت النباح يقف عند صيوان أذني، نعم إنّه نباح كلب، أو لعلّه عواء ذئب! فالضجة من حولي التي يختلط فيها كل صاحب صوت في السوق تجعل درجة التمييز متدنية، ولكنني واثق أن هذا الصوت يقع بين النباح والعواء ولا يتعداهما..

ولكن لماذا هذا الاتفاق؟ وهل الوحدة تعني سماع صوت واحد وأي صوت! هل شح المذيعون؟ لا، لعل ذلك من برامج الهواة، أو لعله تمثيلية تتحدّث عن الفرزدق الشاعر حين التقى الذئب، فعوى ثم ألقى، فارتجز، فهاجته، أو أنّ أحد المتشائمين يحدّثنا عن ذاك الذي استأنس بصوت الذئب، فقال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكادت أطيّر

أو..أو..أو...، ولكنّ لفتة غير مقصودة إلى السيارة جارتني انتزعتني من بحر الحيرة والتفكير، وجعلتني أطمئن على أنّ إذاعاتنا لم تصل إلى هذه الدرجة الميؤوس منها.

فصاحب الصوت ذو فرو أبيض ناصع كالثلج، وقد ألقى على فرش مخملي وردي، ومع أنّه مطوق بطوق من ذهب إلاّ أنّه كلب.

أقفلت المذياع حتى لا يشوش عليّ متعة النظر وحبّ الاستطلاع، فأول مرّة أرى الكلاب المحترمة.

لفتة أخرى إلى مقود السيارة، نقلتني إلى حيث يجلس ذلك الرجل المتأنق، فشعره الأشقر المسرّح، وسيجاره الغليظ، وقلبه المدلّل، وسيارته الفارهة، كلُّ ذلك يدلُّ على أنّه من ذوي الحثييات.

قلت: لعله واحد من هؤلاء الوافدين على بلادنا بدرجة خبير، فهيتته تظهره على أنّه من الذين نالوا حظوة في بلادنا أكثر من أصحابها، وأكثر ممّا نالوه في بلادهم.

رَكَّزْتُ النظرَ على وجهه، ثَبَّتُّ عَيْنِي على ملامحه، ليست هذه الملامح غريبة عليّ، لعلِّي أعرف هذا الوجه، من المؤكّد أنّني أعرفه، فسيماه مألوفاً لديّ!.

ابتدأت أعود بالذاكرة إلى ما اختزنته من صور.. مرّ الشريط بسرعة، وقبل أن أتثبت منها انطلقت أبواق السيارات المرصوصة خلفي، والمنزعجة من تأخري في الانطلاق بعد تحوّل الإشارة إلى اللون الأخضر.

انطلقت بسيارتي بعد أن اهتزّ شريط تخزين الذكريات والصور. حاولت إعادة ترتيب اللقطات في ذاكرتي، سرّت والكلب أمامي، يطلُّ عليّ من نافذة سيارته الفخمة، وفمه مفتوح على آخره، ولسانه يتدلّى على حافة النافذة، وكأنّه يتحدثني، ويقول مغيظاً: إن كنت رجلاً فأعرف من يكون صاحبي؟!

ابتلعه منعطف من الطريق، حاولت أن أتبعه، لم أتمكن، فقد فصلت بيننا إشارة أخرى.

عدتُ إلى المذياع، أدرت المؤشّر، بدأ الصوت، فحمدت الله على أنّي لم أسمع صوت الكلب، وإنما هو صوت أحد المذيعين المعروفين يقرأ نشرة الأخبار، وكان اعتداء الطيران الإسرائيلي على المفاعل الذري العراقي والشجب العربي محور أنبائه، على الرغم من أننا قرأناها في صحف الصباح!.

ظَلَّتْ ملامح صاحب الكلب مرسومة أمام عينيّ إلى أن وصلت إلى البيت.

التفت ساعدا طفلي الصغير حول ساقِي، سرت وهو متعلق بي.
التقت عيناَي بعيني زوجتي المستكترتين انشغالي عن ولدي الذي
يظهر من ملامحي الشاردة، وعدم اكترائي بلقائها ولقائه.

سألت: هل يؤلمك إلى هذا الحد غارة الطائرات الإسرائيلية على
المفاعِل الذري؟

لا، ليس هذا ما يشغلني، ما يشغلني حقاً هو صاحب الكلب، ذلك
الرجل الأنيق الذي رأيتَه قبل قليل يقود سيارته، نعم، إنِّي أعرفه لقد
رأيتَه، أين.. أين؟

وضجتُ زوجتي: كلُّ شخص تراه تمكث فترة وأنت في حالة انشده؟
ما هذا؟ لا بدّ أن تعرض نفسك على طبيب نفسي.

لا، لا يا زوجتي، لست مريضاً، ولكنِّي لا بدّ أن أعرفه، أنا أعرفه
حقاً، إنِّي أتحدى الذاكرة والنسيان، أين رأيتَه؟ لعلي رأيتَه في أحد
الاجتماعات، أو أمام أحد النوادي، أيكون لاعباً أو ممثلاً؟ أو إنِّي رأيتَه
في برنامج (سين جيم).

أين؟ أين؟ رأسي يكاد ينفجر، لا بدّ، لا بدّ من معرفته، الحيرة
تتملكني، توترت أعصابي، أخذت أذرع غرفة الجلوس جيئةً وذهاباً.

صوت مذيع التلفاز يبدأ قراءة نشرة أخبار الثامنة مساءً: السيد
رئيس الأركان يعقد مؤتمراً صحفياً للردّ على الإشاعات حول مرور
طائرات العدو واختراقها لأجوائنا في أثناء ضربها المفاعِل. لفتة غير

مقصودة، جعلتني أقفز فرحاً كالطفل الصغير، وأهتف: إنه هو! الشعر
الأشقر المسرَّح، والسيجار الغليظ، ولا ينقصه إلا السيارة الفارحة
والكلب المدلِّل! وأحسست بفرح عظيم، لأنني استطعت أن أوَكِّد لزوجتي
سلامة عقلي، وقوَّة ذاكرتي.



obeikandi.com

لعبة الكالة

ثلاثة الأشهر التي يحتاجها ليتمَّ السادسة حرمة من دخول المدرسة، على الرغم من أنه يتفوّق على أبناء الحارة في الطول وأوليات التعليم، من: حفظ بعض السور القصيرة، والأنشيد الخفيفة، والعد حتى المئة.

ومع ذلك فهو يحسُّ الآن بألم شديد، لأنَّ هذا التفوق بدأ يتناقص، فلقاؤه بأولاد سنِّه يؤكِّد له أنَّ معرفتهم أصبحت أوسع من معرفته، فهم يقرؤون ويكتبون بعض الكلمات التي تعجزه، فيقف حائراً خجلاً، ولكنه يطمئن نفسه، فيتوعدهم قائلاً: عندما يأتي العام القادم سأثبت لكم تفوقي.

في إشراقة كلِّ يوم كان يمَنِّي نفسه بالحذاء الجديد، و البدلة الكاكي، والحقيبة الجلدية، وسيرفض بإصرار أن يلبس قديم إخوانه! وهو إن كان يقبل في السابق فلأنه صغير، ولا يلتقي بالمعلمين والتلاميذ، إذ إنَّ الخروج إلى مجتمع المدرسة لا بدُّ له من هيئة تليق به، كما كان يقول والده.

ولكن الانتظار صعب، والوقت طويل.. فالسنة لم تبدأ إلا منذ أسابيع قليلة، وها هو ذا غسان ابن الجيران الذي كان يتفق معه بعض الوقت، سينتقل للعيش مع والده الذي يعمل في الخليج، ماذا يصنع؟ لقد ضاقت عليه الدنيا، لذا فهو يعاود طلبه القديم، ووعده والده الذي لم ينفذ، وكلِّما ألحَّ على والده في تنفيذ وعده بشراء الدراجة، أسمعته والده أموراً لا تقع في بؤرة الفهم لديه: فالغلاء، والحرب الاقتصادية التي تشنها إسرائيل على منتجاتنا، من منع التصدير، وضرب الأسعار، والظروف الصعبة التي نمر بها، كلُّ ذلك لم يمنعه من تكرار طلبه.

وفي كلِّ جولة تحصد أذناه الصغيرتان أرقاماً وإحصائيات ليس معنياً بها .

وفي نوبات إلحاحه، نظر والده إلى ساعديه الممتملتين ثم قال له: اذهب والعب «الكالة» يا داود.

شهق داود، وارتفع حاجباه، فقد ظنَّ أنَّ والده قد أحضر له اللعبة الموعودة، فصاح بفرح طفولي:

الكالة؟ وأين هي يا أبي؟ ومتى أحضرتها؟ أهي جميلة؟

وهل أستطيع أن أركبها ؟

وهل تسير بالكهرباء ؟ أم أنها تعباً كلعبة صديقي غسان التي أحضرها له والده في صيف العام الماضي .

كلُّ تلك الأسئلة ووالده يكتم ضحكة مشوبة بالأسى، ثمّ مدّ يده إلى جيبه، وقال له: خذ هذه القروش الخمسة، واشتر بها حلوى من دكان أبي العبد، وفي المساء تلعب الكالة مع إخوانك.

جرى إلى الدكان، وهو في شوق للشراء، ولكن لعبة الكالة كانت تسيطر على حواسه، لم يترك مازاً في الشارع إلاّ وسأله عن لعبة الكالة، وفي كلِّ مرة كان يسمع إجابات متشابهة، ولكنها غير مقنعة! وإن من غير الممكن أن يهزأ به والده، فما هي القنطرة من الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض؟ وما الفريقان؟ والتصويب والفوز؟ ما هذه الألغاز؟

وفي الطريق شاهد عدداً من الفتيان يقسمون أنفسهم فريقين: فريقاً إلى جهة الغرب، وآخر إلى جهة الشرق، ثمّ يتقدّم أحد اللاعبين ليمسك بحجر كروي الشكل، ويتهياً، فيتقدّم ويتأخر بضع خطوات، ثمّ يصوّب ويلقي بحجر من يده كالقذيفة، فيصيب أو يخطئ، لتعلو صيحات الفرح أو الشماتة. وأكثر ما شدّ انتباهه، مخاطرة بعض الفتيان بأنفسهم، حيث يضع أحدهم رجله أمام قنطرتة في أثناء تصويب لاعب الخصم، وهو يصيح بأعلى صوته: (برجلي ولا بكالتي) وكأنه بهذه الحركة يخلخل دقّة الخصم في التصويب.

إذن هذه هي الكالة؟ لم يشتر الحلوى، وإنما عاد إلى البيت كاسف
البال على هذه المفاجأة التي لم يتوقعها.

كانت آماله تتسع دوائرها لتصبح بحجم دوائر عجلات الدراجة،
وإن ضاقت وتعلت بالقناعة، رضيت بسيارة تسير بالتعبئة لا بالبطارية،
أو بذلك الطِّبال المشهور الذي يجلس وطبله بين رجليه، كلِّما حُرِّك
مفتاحه تحركت يداه بعيدانه تضرب الطبل.

ألم تشتري الحلوى يا داود؟ سأله والده.

لم يرد، ولكنَّ حركته دلَّت على يأسه.

أصوات إخوانه العائدين من المدرسة خففت حدَّة اليأس في نفسه،
وبدأ حزنه يتلاشى عندما انخرط معهم، يسمع أحاديثهم وأخبارهم
عن المدرسة، وبعد الغداء، قال الوالد مداعباً: بعد العصر خذوا
أخاكم وعلموه لعبة الكالة.

لم ينتظروا العصر، وإنما انطلقوا من فورهم بصراخهم وضجيجهم
إلى البيدر، وما هي إلا لحظات حتى بدأت مباراة الكالة.

لم يتقدم داود، ولكنه بدأ يشعر بالحماسة، وهو يسمع الأصوات
المهلَّة أو المعترضة.

ترك موقف المراقب، وانزلق مع إحدى الفرق، وانطلقت يده تصوِّب
الحجارة إلى قنطرة الخصم، وفجأة انهارت القنطرة بإصابة محكمة
منه، دوى على إثرها التصفيق والهتاف والثناء!

أحسّ داود بصدوره ينتفخ، وقامته تمتد.

كانت هذه البداية المشجعة حبل الوصل بينه وبين هذه اللعبة، وصار كلّما دخل اللعبة يصيب نجاحاً مما زاده اعتداداً واهتماماً، بل أصبح الفرقاء يتنافسون عليه.

أخذت لعبة الكالة منه كلّ وقته، ونسي دغدغات الدراجة، أو ملابس المدرسة الجديدة، انزوت تلك الأحلام لتتسع دائرة الكالة من حوله، ففدا في كل مساء يجمع أطفال الحارة ويقسمهم إلى فرق تماماً كما يفعل مدربو الكرة، ولذا كثيراً ما تراه منقلباً على ظهره، وهو يتابع الكيفية التي يتم بها تقسيم الفرق الكروية في منافسات الكأس.

شغلته حماسته للكالة عن كل تفكير، لدرجة أنه كان يعود مساءً، ومعه بعض الحصى يوزعه فوق الحصى إلى فرق، فهنا فرقة الحارة الغربية، وهنا الشرقية، وهناك الجنوبية، ثلاث مجموعات فقط، فالجهة الشمالية من البلدة واد عميق، ومنحدرات صخرية وعرة لا تصلح للبناء.

كم كان يتمنى أن تتعدّد الفرق، ليخرج بأكبر قدر من المجموعات، ولكنه يرضى بالواقع، ويبدأ بالنداء على اللاعبين:

أنت يا زياد قف هناك أمام الكالة، وأنت يا رياض اجمع الأحجار، وسليم ومحمد قفا خلف بعض.. وينطلق في الترتيب والتنظيم، حتى تضج المباراة في قلبه، فينطلق لسانه بالتشجيع والتويخ.

أحسّ والده وهو يراقب اندماج ابنه في اللعبة بشيء من الأسى، وعزم في قرارة نفسه على تدبير ثمن الدراجة، ومفاجأته بها عندما يذهب إلى المدينة.

في صباح اليوم التالي، وفي أثناء استعداده للسفر، حضرت دورية لقوات الاحتلال ومعها جرّافة، وتوجهت إلى بيت أبي عبية، لحظات وبين الصراخ والدموع والاحتجاج، طار البيت في الهواء.

غادر الجنود البلدة، وهم يظنون أنهم لقنوها درساً في الطاعة.

تجمع أهل البلدة وهم يحوقلون ويشتمون، كان داود يسمع من بعيد الحوار الدائر بين الرجال المتحلّقين حول الأنقاض، مواسين، أو معرّضين بابنه المنضم للفدائيين، أو متبرعين ببعض المال، أو متعاونين لإعادة بناء البيت، مع ما في ذلك من معاقبتهم من قبل العدو، وإعادة هدم البيت.

كان داود يصغي لهذا الحوار، وإذا به يتدخل قائلاً: الحل أن نلاعبهم الكالة.

شرّ البلية ما يضحك، ما بقي إلا الصغار! اذهب يا ولد.. العب وحدك. هذا ما سمعه منهم، ولكنه أصر قائلاً: ألم يهزم سيدنا داود جالوت العملاق بحجر؟ وأن يبني مع قائده الفلسطيني عيطاي دولة مؤمنة؟

ويرد أحدهم: ذاك زمن مضى، وهذا زمن الصواريخ والقنابل.

ظَلَّت فكرة مبارزة اليهود بالكالة تتردد على ذهن داود الذي بدأ ينقلها إلى كل أعضاء الفرق.

محاولة إعادة البيت المتهدم وصلت إلى قوات الاحتلال التي جاءت على عجل، لتتأكد وتهدد وتعتقل.

أشعت حماسة الكالة في عيني داود، فأخبر الفتيان الذين وافقوه، وانطلقوا يكمنون في الأماكن التي حددها لهم، وظلّ هو يراقب وصول الدورية، وما أن اقتحمت أزقة البلدة حتى انهال وابل من الحجارة عليهم، تحطمت السيارة، وأصيب الجنود بجروح لم يعرف مداها!.

لعلّ هذه الحادثة هي التي أشعلت فتيل ثورة الحجارة، أو لعلّ داود كان موجوداً في كلّ بقعة، وفوق كل حجر من أحجار فلسطين! على كل حال لم يعرف الذي أشعلها، أهي هذه الحادثة؟ أم الحجارة نفسها؟ أم أرض الحجارة؟ أم أهل الحجارة؟ فاشتعالها في آن واحد، ودون اتفاق مسبق يدلُّ على أن الأرض والناس والحجارة قد اشتعلوا في آن واحد!.

امتلأت الأرض بالدوريات، ولم يعد داود وفرقته فقط، فكلّ الأيدي فوق سطح الخريطة أصبحت تلعب الكالة، وتأتמר بإشارة من داود .

ظَلَّ داود كالصائد الماهر واللاعب المحترف، يوجه فريق الخصم إلى نقطة الضعف ليحقق الفوز، أو الإصابة المباشرة، وفي لحظة من لحظات التجلي، زلقت رجله فسقط من على مرتفع.

لم يحترم الفريق الخصم قوانين اللعبة وأدائها، فانقضَّ عليه،
وكانت النتيجة ذراعين مكسورتين.

في المستشفى كان داود يسأل كلَّ من يمر على سريره عن المدة
التي سيقضيها ليبراً، ويعود إلى لعبته المفضلة، وهو يؤكد للجميع أنَّه
المنتصر على الرغم من الذراعين المكسورتين!.



أحلام مدمن

يسمع أصوات سيارة الشرطة المتتابة كأنه بين أذنيه، يصاب بالاضطراب، ويهمهم: منذ أن صدرت هذه القرارات المشؤومة، تركوا تنظيم السير، ومتابعة المجرمين، وانشغلوا في البحث عنا.

لقد سببوا لي صداً دائماً، فزعيق سياراتهم يؤرقني، يُفزعني، أحسُّ بأنَّ شرطياً بمسدسه وصافرته يختبئ تحت مخدتي.

لقد تضاعفوا هذه الأيام، وكأنَّ قرارات منع المخدرات تتناسل رجالاً من الشرطة، فهذه الأعداد المتوالية التي تملأ الشوارع جيئةً وذهاباً لا تفسير لها غير ذلك.

إنهم لا يصنعون شيئاً، ولا عمل لهم سوى ملاحقتنا، هل استتبّ الأمن؟ واختفت الجرائم؟ وعاش الذئب والحمل متجاورين؟ أنا أعلم أنها فرصتهم، حقاً إنها فرصة رائعة لإضاعة الوقت، وقبض الراتب في آخر الشهر! فهم لا يتركون مكاناً بعيداً عن العيون، أو خالياً من الناس، إلّا حتّوا السير إليه، وهناك يمضون الساعات في تفحصه، والتأكد من خلوه من مدمن، أو مروج، أو مهرّب، ويضيع اليوم، والذي يليه.

يا لها من خدعة غبية انطلت على الدولة!! والمستفيد الوحيد هم رجال الشرطة.

سأذهب إلى مكان أمين، بعيداً عن العيون، وبخاصة عيون أولئك المتطفلين، الذين ينفخون صدورهم عندما يبلغون الشرطة عن مدمن، فتتشر الصحف صورهم، ويكافئون على هذا العمل الدنيء، بالنميمة، وإفشاء أسرار الآخرين.

سيندمون حتماً على هذا العداء، وسيدفعون الثمن غالياً عندما نتسلم زمام الأمور.

لقد قال لي بائع المخدرات في المرة الأخيرة: اليوم الذي نحكم فيه قبضتنا عليهم قريب، وعندها سنذيقهم من العذاب ضعفين.

ظلّ يسير مسرعاً كفأر مذعور، ينظر بعينين زائفتين، يهبط منحدرًا، ويلتوي في ثنية، حتى وصل إلى زاوية موحشة في قبو مظلم، في بناية قديمة مهجورة.

رائحة العفونة تسيطر على الجو، أصوات البعوض تصكُّ أذنيه، لدغته واحدة، ضرب وجهه بيده، وأخرى، وأتبعها ضربة ثانية، لعله يتأمر مع الشرطة، أو أنه مخبر، لا، لا يخرج البعوض إلا بإثارة الدخان، نعم سأشعل الآن سيجارتي، بعد أن أملاًها بالسحر.

الآن أحياء، أعيش حياتي، أملك دنيائي، القبو مملكتي، يتسع أمامي، سأطرد البعوض المتأمر، وكلُّ مدعي الطهارة.

أين هي؟ في جيبي الأمامي؟ لا، في الخلفي؟ إنها في الجيب الداخلي! أين ذهبت لقد لففتها جيداً في ورقة قصدير، على الرغم من صغرها الذي لا يتجاوز حبة الحمص، لكنني دفعت ثمنها غالياً، إنَّ الحصول هذه الأيام على حبة في مثل حجمها يكلف كثيراً من المال..! المال لا يهم، ولكنَّ المخاطر التي تتعقبك وأنت تبحث عن البائع!

إنَّ الدم يجفُّ في العروق وأنت تتوقع كلَّ لحظة أن يقبض عليك، وتكاد روحك تُزهِق من بين جنبيك إذا ما تخيلت أنَّ البائع نفسه قد يكون مزيفاً ويلبسُ عليك، إنَّه الرعب الذي يسيطر على كلِّ حواسك، وأنت تبحث عن شيءٍ يسير لا يتجاوز حبة الحمص.

لم أفهم إلى الآن سبب محاربتهم لهذا البلسم، لبساط الريح الذي يحملنا إلى مدائن فسيحة؟ الأنهم مقيدون بالماضي، ويريدون تقييد المستقبل؟ نعم، إنهم منقلوب بقية العادات، فهم لا يستطيعون التحليق، ومع ادعائهم النزاهة والعفة، إلا أنهم كالحخفايش لا يطيرون إلا ليلاً، أما نحن فنطير في وضوح النهار!.

ومع ذلك فأين أنت يا غاليتي؟ يخرج محفظته، وعلبة سجائره، جميع أوراقه، باطن جيوبه، يا إلهي..! أكاد أجن، أتكون قد سقطت مني في الطريق، وأنا أتسللُ إلى هنا؟ وهل أستطيع العثور عليها بين أطنان ركام المخلفات التي مررت عليها؟

وعاودَ البحث بسعار محموم، وهو يحدثُ نفسه: لماذا لا يتركوننا وشأننا؟ أحقاً ما يقولون: إنها تعطلُّ العمل، وتضيع الوقت؟ هناك ألف وسيلة ووسيلة لإضاعة الأوقات، ومع ذلك فالوقت معك ليس ضائعاً، خلع معطفه، نقبه تنقيباً، وأخيراً.. يا لك من مخادعة! لقد علقت بطرف الزر! تعالي إليّ.. تعالي، إنهم يبنون مستشفى للمجانين، وداراً للعجزة، فلماذا لا تكون هناك مدينة للمدمنين..؟!

نعم مدينة تجمعنا، مدينة لنا وحدنا، وألقمها سيجارته، ثم أشعلها، أخذ نفساً عميقاً، تلاه آخر أعمق منه!.

إنها مدينتي أنا، أنا مؤسسها ومصممها، سأجعلها من أعظم المدن وأجملها، سكانها نحن فقط، سأقصرها على المدمنين، وأجعل لها دستوراً، وكلُّ من يحافظ عليه، ويعمل به يصبح مواطناً صالحاً، له جميع الحقوق، وليس عليه شيء من الواجبات الثقيلة، لن أفرض على سكان مدينتي أيَّ قانون يحدُّ من حريتهم، أريد سعادتهم فقط، أريد أن أحقق لهم ما تحقَّقه لي هذه القطعة الصغيرة التي حشوت بها سيجارتي.

لن أزرع في مدينتي أيَّ نوع من الأشجار والحشائش التي لا فائدة منها، لن أصنع كما تصنع البلدية التي تنفق الكثير من الوقت والمال

على عمالها، إنها تدفع الرواتب والأجور، وأثمان المياه، وأدوات التنظيف، والأدوية، كلُّ هذا من أجل أن تزرع حشائش لا فائدة منها، ثم يأتي المتطفلون فيدوسونها، ويقلعونها ويلقون بقماماتهم عليها.

يالهم من بلهاء! ويصفوننا بالبله؟!

إنهم مفرطون، لا يعرفون كيف ينقون أموالهم .

أما بلدية مدينتي فسأغرس فيها البذور والحشائش التي تجعلنا نعيش بسعادة غامرة، سنحترم هذه المزروعات، وسأحيط مدينتي بسور عالٍ، يمنع أعين المتطفلين. سأجعل هنا مسبحاً، وهناك نادياً لكبار المدمنين، وسأكون رئيس النادي، لا أريد سيارات في مدينتي فتحن لا نحب الضوضاء.

تراخت قدماه وهو يعبُ دخان سيجارته، وتابع أحلامه، أخذ أنفاساً متتالية من عقب سيجارته الذي يكاد يلتهم إصبعيه، أمسكها بأطراف أظافره، أخذ نفساً أخيراً، فتعلق بشفتيه، تلسعه حرارة الشعلة، يرخي شفتيه، ويقعي على ركبتيه، ثم يسقط أرضاً.

الشرر المتبقي في الشعلة سقط على أرض القبو الممتلئ ببقايا القش والملابس البالية، بدأ الدخان تحته ينشط قليلاً قليلاً، وهو يأخذ النفس تلو النفس واضعاً أصابعه على فمه، وكأنه لا زال يعبُ من سيجارته!.

عاود أحلامه، إنهم يعتدون على مدينتي، هاهم، أشباحهم تتراقص أمام مخيلتي، أصوات أبواق سياراتهم المجنونة تضجُ في أذنيّ،

هاهم يعتدون على سكانها، لماذا يركلون ذلك المسكين الذي يشرب النار جيلة؟ ولماذا يضربون هذا؟

أخ... أخ، إنهم يضربونني أنا..!!

لماذا تقومون بضربي؟ نحن نعيش حياتنا، وأنتم تعيشون حياتكم، هل أسأنا إليكم؟

لماذا هذا العدوان والتسلط؟ ويحسُّ أن أحدهم قد وجَّه له ركلة شديدة في بطنه، فيصرخ ويتلوى، يرفع يديه وهو يصرخ بأعلى صوته: لا..لا..لا تهدموها، إنها مدينة أحلامي...

الجَرَافات تجرف المباني.. إنها تتوجه نحو النادي، تغرس أسنانها في جداره، تنقض عليها بكل قوتها، تتأخر وتتقدم تضربه، لازال صامداً.. لا شك أنه سيصمد، ولكنها.. يا إلهي.. إنها تصدِّع جداره، يتشقق، بدأت تغرس أسنانها المفترسة في لحمي، في جداره. الغبار يملأ المدينة، سقطت واجهة النادي..

وقام من فوره صارخاً.. النار.. النار.. النار، تكاد تلتهم جسده الخائر.. النار التي أتت على ملابسه، وبدأت في التهام أعضائه جعلته يصحو قليلاً..

ماذا؟ إنهم يحرقونني، وخرج من القبو، والنار تكاد تأتي عليه، وهو يصيح ويصرخ..

وأقبل عليه الناس، وغمروه بملابسهم وأرديتهم، وأطفؤوا أحلامه التي أحرقت واقعها!

دراجة الموت

الجو المتشح بغيوم التوتري يذير بعاصفة هوجاء، ورياح الحقد
المنبعثة من رصاصات الغدر تروي كل بارقة أمل، وسواعد الأطفال
الغضة تموج كحقل سنابل، وأصواتهم تشعرك بالنضج قبل الأوان.

الشمس تلملم طرف ثيابها، وترحل عن يوم كئيب آخر، من أيامها
خلفته وراءها، وعلى آخر خيط من خيوطها.

كان أهل رفح يوسدون آخر ضحايا هذا اليوم، أرملة شهيد من
شهداء الانتفاضة السابقة، كانت ترجم جنود الاحتلال لتنتقم للوطن
ولزوجها، فلحقت برفيق دربها.

عادت أم شهاب من بيت العزاء بصديقة العمر وهي تحوقل وتُرَجِّع،
وتذرع الردهة الصغيرة بخطواتها المضطربة، ويديها اللتين لا تثبتان
على حالة: عقلت النساء، وماتت النخوة، لم يعد لنا كرامة، المرأة
تخرج لترجم اليهود، ودبابات العرب وطائراتهم وصواريخهم رابضة
في مرايضها!.

اشتدّت حدّتها.. أين الرجال؟ أين الأبطال؟ أين الزعماء؟ أين
المعتصم؟ أين صلاح الدين؟

وانهارت على مقعد قريب من باب غرفة ابنها ذي العشرين ربيعاً.

أحسّت بحركة غريبة داخل الغرفة، ولكنها لم تدفعها لمعرفة الأمر،
إلاّ أنّ صوت التلفاز الذي علا ليبيثّ خبراً عاجلاً عن قصف الطائرات
الإسرائيلية لبعض الأحياء السكنية في كلّ من رفح ونابلس ورام الله
دفعها إلى الإصغاء، ثم تبع ذلك صوت مطربة تشدو بصوت حماسي:
«وين الملايين؟ الشعب العربي وين؟ الدم العربي وين؟».

وبحركة لا إرادية، انتفضت وضغطت على زر الإطفاء، هل كان ذلك
احتراماً لذكرى الراحلة جارة العمر التي فقدتها؟ أم أنه اشمئزاز من
كلّ الكلام الذي قيل ويُقال!.

صمّت التلفاز، ولكنّ أشياء كثيرة في الغرفة تنطق، فشكل ابنها،
وحركاته، وملابسه الثقيلة، ونظراته لأمه تكاد تنطق، يكاد المريب أن
يقول خذوني!

تمت: ماذا يخفي هذا الولد؟ يخرج ويدخل يخفي أشياء عني،
الشبان مشغولون بالانتفاضة، وهو مشغول بنفسه، ألقت عليه سؤالاً،
ومشت دون أن تنتظر الجواب: كل الشباب جاؤوا للعزاء!. تمت: أَحْضِرْ
للامتحان، أخبرنا الدكتور بذلك إذا فتحت الجامعة أبوابها.

كأنها لم تسمع، أي جامعة؟ وأي امتحان؟ ليتني... ولكنها لم
تكمل.

أحسّت بشيء من الانقباض، هل سبب ذلك يعود إلى موت الجارة؟
أم لشكل ابنها المريب؟ فمن الذي يلبس مثل هذا اللباس الثقيل وقت
النوم؟ أم لأنها تحسُّ بأنه لا يشارك في الانتفاضة؟
الحال أقوى من السؤال، ومن الإجابة، ومن البحث عن سبب
للتغيب.

اتكأت على طرف السرير، فلم تشعر إلا وضوء الشمس يتسلل من
النافذة، سمعت صوت إغلاق الباب، قامت متعجلة لتلحق به قبل أن
يفادر، إنه متعود أن يتناول طعام الإفطار من يديها.

لأول مرة يفوت عليها ذلك، ما إن فتحت الباب حتى رأت ابنها
يفادر مسرعاً على ظهر دراجة.

اضطرب قلبها، لا تعلم أنه يعرف قيادة الدراجة، ثم من أين له
هذه الدراجة؟

أغلقت الباب وهي تحس بشيءٍ ثقيل يجثم على صدرها، بل إن

خوفاً غامضاً يبتابها، تذكّرت أبناء جارتها، أسرعت إلى المطبخ،
سأجهز لهم الإفطار، والذي كنت أجهزه لشهاب.

ابتسمت وهي ترصُّ الصحون فوق الصينية، وذهبت، قدّمتها
وعادت.

دخلت غرفة ابنها، أخذت تلتقط أشياءه المبعثرة، الساعة تقترب
من التاسعة صباحاً، موعد نشرة الأخبار، فتحت التلفاز، بانتظار
الأخبار، ربت شرشف السرير، كتاب على المخدة.. أخذته يبدو أنه
عن عز الدين القسام، فصورته بلحيته المهيبة تظهر على الغلاف،
سقطت منها ورقة، التقطتها، فتحتها، قرأت: لا تيأسي يا أمّاه، فلن
تكوني عقيمة، وأرضنا ستظل حبلى بالرجال.

زمت شفيتها باستغراب، ظهر الخط الأحمر على شاشة التلفاز
للخبر العاجل: «شاب على دراجة نارية يفجّر نفسه في موقع للعدو».
يدها تشدُّ على الورقة، وعيناها مُسمّرتان على الخبر العاجل.



وسوسات أبي ذر

الإجازة القسرية أثقل على النفس من دوام مبكر بعد سهرة حافلة، وأثقل منها أن تضطر للبقاء في المنزل رهن إقامة جبرية، حفاظاً على حياتك.

وكيف بمن شغف بعمله وأحبه؟ ذلك أتعب له وأمضُ. كانت الإجازة المفتوحة التي فُرضت على العاملين في المعمل الفيزيائي المشرف على المفاعل السلمي بأمرٍ من وزير التصنيع والحربية تساوي عند أبي ذر السجن الانفرادي.

يقولون: إنَّ أبا العلاء لُقِّبَ برهين المحبسين، ولكنّه على الأقل كان يلتقي بالعلماء والطلاب، ويراسل الأمراء والملوك، أما أنا فرهين

محابس: فالأول بيتي، والثاني المجمع السكني، والثالث معملي، والرابع محروم من السفر، والخامس محروم من الكلام إلا في الرياضة ومشاكسة زوجتي، والسادس.. والسابع.. إلخ.

نعم، أنا رهين المحابس، قال ذلك، وأخذ جلباباً مفتوحاً وضعه فوق ملابس النوم، ثم انتقل إلى الشرفة.

ألقي بثقله وثقل همومه فوق كرسي من الخيزران، ونظر في الأفق نظرة تريد أن تخترقه، فبدأ عليه شبح ابتسامة، وهو يتذكر أن عمر الخيام حاول قبله هذا الاختراق وفشل، ارتدّ بصره حسيراً، لعجزه عن تبين ماهية هذه الذرات المتلاثلة التي تداعب عينيه.

أهي كما يقولون: زغلة؟ أم سراب؟ أم أن الضعف بدأ يتحيفُ بصره؟

مسح نظارته، وفرك عينيه، ثم قام وغير مقعده من على الشرفة المطلّة على الفضاء الواسع غرباً، إلى الشرق المطل على حديقة البلدية.

الماء والخضراء - كما يقولون - دواء للعين، وجلاء للهموم والفكر، تملّى من شجر السرو الصاعد إلى الأعلى، وأخذ يتنقل ببصره من عرائش العنب، إلى أحواض الزهور المتفتحة، أحسّ براحة كبيرة وهو يرى بوضوح حركة الماء المنساب من أنبوب السقي، أو من تلك الرشاشات التي ينتشر رذاذها في الفضاء لامعاً، وتزيده أشعة الشمس الساقطة عليه بريقاً.

أما ذلك المزارع الذي يلمُّ ثيابه، وهو ينتقل بأنبوب السقاية من شجرة إلى شجرة، فقد لفت نظره في هدوئه واطمئنانه، وحركاته وتقلباته غير عابئ بما تنقله الفضائيات من أخبار، فيد تمسك أنبوب الماء، والأخرى تتساب بين الفروع لتلتقط بعض الثمار الناضجة.

إني - على البعد - أرى فكّيه وهما يطبقان بهدوء على حبة عنب، أو خصلة عنب، أو تفاحة لذيذة من السكري الصغير.

يا لعالمه الوادع الهانئ!!

لمّ لمّ أتوجّه لدراسة الزراعة؟ لكنت تخرجت مهندساً زراعياً، ولكنت الآن أقبع في ظلّ شجرة، أو أنتقل طليقاً كالطير، وأنا أوجّه عامل الرش، وعمّال الحراثة والتطف، أو كنت أتعامل مع الحيوانات الأليفة، أتابع الخراف والعجول، وأتناول فطوراً طبيعياً طازجاً.

لقد صدق من قال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطيّر

أخ.. أخ..!! ما الذي وجّهني إلى الفيزياء؟ لم أكن أميل إليها كثيراً، كان درس الأحياء يستهويني، وكثيراً ما حتني والدي على دراسة الطب، كان المسكين يعاني من بصره، ويتمنى أن يصير ابنه طبيب عيون ليعالجه مجاناً، فقد كان لا يملك المال الكافي لمتابعة علاجه.

آه..! إنه أستاذ الفيزياء ذاك المسحوب من لسانه، هو الذي وجّهني وشجعني، كان دائماً يحمّسني قائلاً: يا غبار.. يا ابن أبي ذر! كلُّ له من اسمه نصيب، كم أتمنى لو تعود الأيام إلى الوراء لأكمل تخصصي، أمّا أنت فالفرصة سانحة أمامك، وتفوقك هوجواز سفرك، إن عالماً فيزيائياً - يا غبار - يساوي في نظري آلاف الأطباء والمهندسين المتسكعين، إن أمتنا بأمس الحاجة إليه، يجب على أمتنا أن تملك الذرة حتى تستطيع مواجهة إسرائيل، ومن هم وراء إسرائيل، لا يكبح الذرة إلا الذرة!.

كانت خطبه ودروسه عن أمتنا وتراثنا العلمي تفوق تدريسه مادة الفيزياء لنا.

لا أدري كيف اقتنعت بكلامه! أهو شيءٌ ذاتي أردت تحقيقه؟ أم هو إحساس بحاجة الأمة كما قال الأستاذ؟ أو كما قال يونج بالشعور الجمعي؟ أم أنّ الحسّان اجتمعاً في داخلي، وسيّراني لدراسة هذا العلم؟ وأنا في حلٍّ منه، وبعد ترددٍ لجنة البعثات التي وافقت على ماض.

كانت هذه الوسوسات تتوارد على خاطر الدكتور (غبار بن أبي ذر) عندما قطعت الخادمة عليه وسوساته بفنجان القهوة.

ما أن وضعته أمامه حتى امتدت يده، وأخذ الفنجان ورشف رشفة طويلة، لكنّه تنبّه فجأة، ما الذي يجعلني أحسّي هذه القهوة؟ ألا يمكن أن تكون مسمومة؟ ربّما! إنهم وصلوا إلى (المشد) في باريس على الرغم من الحراسة المشدّدة، ومنهم من وُجد مخنوقاً في فراشه،

وبعضهم قتل عن طريق رسالة ملغومة، أو هدية مسمومة، أو بأي أسلوب شيطاني يخطر على بالهم.

أحسّ بشيءٍ من المغص، وضع يده على بطنه، ماذا؟ أتكون القهوة هي السبب؟ اشتد المغص قليلاً، وعلامات من الفزع الهادئ تظهر في عينيه، وهو يراقب حركات الخادمة، التي لا يمنع أن تكون عميلة (للسّي أي إيه) أو الموساد! ترك قهوته وانتقل إلى دورة المياه، وهناك تذكّر آخر يوم غادر فيه المعمل، كان يوماً مرهقاً عصبياً، فعمليات الحفظ والتغليّف، والإغلاق المحكم التي أشرف عليها بحكم الإجازة المفتوحة، أتعبه جسدياً، كما أنّ السريّة المتبعة في انتقاله من منزله إلى المعمل وبالعكس، تثير عصبيةته! فخروجه من المعمل يضطره إلى الانتقال في ممرات عديدة منها الضيق، والمتسع، واللوبي، والدائري. أما الأبواب الصمّاء التي ينفّث بعضها بالأرقام، وبعضها بالبطاقات أو المفاتيح أو الكهرباء تشعره بأوكرار المخابرات.

حتى في طريق عودته إلى البيت كان عليه أن ينتقل مسافة بضعة كيلو مترات عن طريق حافلة مع مجموعة من الزملاء توصلهم إلى مركز البحوث الإستراتيجية عبر شارع محاط بالأسلاك الشائكة، ومن بعده توصلهم سيارات عبر قبو خاص إلى مجمع سياراتهم المرتفع حوله سور عال.

زال المغص، أحسّ بشيءٍ من الراحة، ممّا جعله يتأكّد من أنّ القهوة لا تخفي له شيئاً. خرج من دورة المياه، وعبر إلى الشرفة حيث كان، استوقفته في المجلس أخبار إحدى الفضائيات..

المذيع يعلن: أن المتحدث بلسان وكالة الطاقة الذرية الأمريكية قد صرّح بأن الخطر لا يكمن في إمكانية العرب من صنع الأسلحة الذرية، وإنما يكمن في وجود علماء الذرة.

شيءٌ ما شوّش على أبي ذر التقاط الخبر، ماذا يقول؟ الخطر في وجود أبي ذر؟!

يا للطامة الكبرى..!! وكالة الطاقة تعرفني! وتعرف أنني خطر عليها؟

من أين عرفت كنيتي التي لا يعرفها إلا أهل قريتي؟ حتى في سجلي الجامعي أو في جواز سفري لم أدرجها، إلا بعد عودتي.

لأبَد أن لهم عيوناً تتابعني وتعرف الدقيق من أمري، لعلهم الآن يراقبونني وأنا جالس على الشرفة، ولا أستبعد أنهم علموا بالمغص الذي أصابني.

ماذا عليّ أن أفعل، عاد إلى مقعده، وإلى وسوساته! لا بدّ من أن أذهب لتغيير اسم العائلة الذي أصرّ والدي على تكريمي بإضافته إلى جواز سفري بعد عودتي دكتوراً.

يا ولدي، قال لي وهو يتفحص أوراق تجديد الجواز: اسم العائلة شرف، ولا بد أن يضاف، والناس في هذه الأيام يشتركون الكني والألقاب، ومن لا عزوة له لا قيمة له.

آه يا أبي سامحك الله! ولكن ماذا أصنع؟ لا بدّ أيضاً من تغيير

مسمّى الوظيفة، كثير من الناس يُغيِّرون مهنتهم وحرفهم احتيالاً على المعاش، ونحن علينا أن نحتال حتى نبقى أحياء.

رنين جرس الباب المتواصل، أشعل شرارة الاستعداد في البيت، فالحذر والترقب، وفتح الدائرة التلفازية كل ذلك للتعرف على القادم.

بعد التأكد من هوية القادم، انفرجت الصدور برؤية هُباب بن أبي ذر، الذي ما أن انفرجت درفتا الباب حتى دخل منطلقاً تغمره السعادة، وهويُزفُ إلى أبيه نبأ اختيار البعثة له لدراسة الذرة، لأنهم كما قالوا له: الأمة بأمس الحاجة إلى علماء الذرة!.



obeikandi.com

المذهب الزعنوفي

بحكم علاقة النسب التي تربطه بأحد محرري الصفحات الثقافية - التي كان يرى فيها جواز مرور لاصطحابه إلى الأمسيات والندوات الأدبية - صار أيضاً يعتقد أن هذا النسب والمصاهرة قد يمتدان إلى الأدب وأهله.

وكم كان يتحرق شوقاً لأن ينعت بالشاعر أو الكاتب! فهم - في وهمه - من الشهرة والدرجة بمكان. والشهرة عنده هوس يركب الصعب من أجلها، ولكن العقبة الكأداء التي تقف في طريقه عدم معرفته البتة في كيفية توليف القصائد والقصص، وكم كان يسأل ويحاول، ولكن محاولاته دائماً تبوء بالفشل!.

داوم على حضور إحدى الندوات، فكان يستمع إلى الشعر والقصص والبحوث، وينصت للحوار الدائر، وهو في صمته كالأطرش في الزفة.

كان النقاش يدور ويدور، وعندما يصل إليه يصطدم في جدار أخرس، فيجف ريقه، ويتحجر لسانه، ولا ينقذه إلا التقاط طرف الحديث من متكلم آخر.

وفي إحدى الجلسات التي خصصت لأحد الشعراء الكبار، وبينما كان الشاعر يلقي شعره، أخذته حمى الجراءة، وفكر في نقد الشاعر بعد انتهائه، لن يترك الفرصة لأحد، سيأخذ زمام المبادرة، قبل أن يتفوه أرباب النقد بكلمة واحدة، يكون هو قد سيطر على الموقف، وإذا كان الجميع يقول، فلم لا يقول؟! بل يجب عليه أن يقول، والنقد كما سمع، مدح أو قدح، ولا يحتاج إلى علم غزير، فيسيره يكفي، وحاجته تكمن في لسانه السليط، ولم لا يذم ويقدح؟ فيشهر ويعرف، على قاعدة: خالف تعرف!

بدأت مخيلته تقسح له طريق الشهرة، فرأى أنه يقوم من مكانه، ويجلس في المكان المخصص للمتكلم، جلس، عدل من جلسته، تتنح، مصّ شفثيه، غاب في تأملاته وخواطره، لم يعد يعي أو يسمع ما حوله، نظر في وجوه البعض فرأى علامات الترحيب والتشجيع، فبدأ ينتفخ وينتفخ، حتى صار يشعر بأنه أضخم من جميع الموجودين، نظر إليهم من عل، فينطلق لسانه ببضع كلمات، وبضع همهمات، صحا على إثرها، وهو لا يدري ما الذي حدث؟

لوسألته عما قال؟ لما استطاع أن يجيبك، لقد قال ما قال دون أن يدري كيف؟ وماذا؟!

ومما زاد في حيرته أنه وجد نفسه مكانه، ووجد الكثير من العيون ترمقه بحدة، الامتعاض يظهر على الوجوه، الشفاه المزمومة تعلن غضبها واحتقارها، تمللم في جلسته، فرك وجهه بيده، استراح لهذه الحركة التي غطت عينيه، فأنقذته قليلاً من هذا الجلد بسياط العيون، تمنى لو يطيل حركته تلك، امتدت يده إلى كوب الماء أمامه، عبَّه، سألت المياه على ذقته وثيابه، انشغل بها، لم يعد يعي ما يجري حوله، طالت كثيراً كما لم تطل من قبل، لحظات كأنها أعوام، وما أن تم الإعلان عن نهاية الندوة حتى خرج يجر رجليه، وكأنه يظهر من تحت ركام، وما أن التقط أنفاسه، حتى أحسَّ بأنفاس خلف ظهره، وإذا بصوت نشاز يُسرُّ في أذنه: كنت كبيراً وجريئاً، إن جرأتك هذه لم تتعودها الندوة، وبخاصة في وجوه هؤلاء الذين يظنون أنهم كبار، ولا يتركون مكانا لغيرهم.

التفت خلفه وإذا به يفاجأ، من!؟ إنه الذي حاول مرتين إلقاء بعض شعره، فسمح له في الأولى بين سخرية الساخرين، ومنع في الثانية!. مضى وهو يفكر، ويحدث نفسه، لمَ لا أكونُ أنا وهذا الشاعر وقربيي الصحفي اتجاهاً أدبيّاً؟ فتقف أمام هذه الوجوه الكالحة؟ نعم، هذا الشاعر يقول، وأنا أنقد، والصحفي ينشر! لا.. لا، لا ينفخ الاتجاه، لا بد من بناء مدرسة نقدية تستمر أجيالاً، أظنُّ أنّ اسم المذهب النقدي أوقع في النفس من أي شيء آخر، ولكن لمَ أكونُهُ على أعمدة ثلاثة؟!

فقد يمضون بالشهرة دوني، وأبقى أنا في الظل؟! لا، فالفكرة فكرتي، وأنا الأولى بذلك، أريد أن يتكلم الناس عن مذهبي، مذهبي لوحدي!.

ولكن.. ماذا أسميه؟ وأخذته الحيرة في اختيار الاسم، وظل في سيره مشغولاً باسم مذهبه الجديد، وإذا به وجهاً لوجه أمام دار للكتب.

حسناً هذه فرصة ثمينة، أشتري بعض كتب النقد وأطالعها، ومن خلالها أختار اسماً لمذهبي.

تأبط بعض الكتب، وخرج عائداً إلى بيته، وصل، ألقى بالكتب النقدية على السرير، ريثما يبدل ملابسه، استلقى، وتناول واحداً منها، قرأ بضعة صفحات منه، تتأب، غزا النعاس جفونه، ألقى بالكتاب فوق رأسه، بدأت الأشياء في الغرفة تتلاشى شيئاً فشيئاً، وأجفانه في عناقها توحى بالاستسلام، بسمة فوق الوجه المثخن بالسبات، شفتاه تتمتمان:

هذه بطاقة دعوة لي من رابطة الأدباء، لأعلق على بعض الأعمال، تتحرك يداها وكأنه يفتحها، يقرأ: إلى رائد المذهب الزعنوفي مع التحية.

ياله من اسم رائع!.. نعم، هذا ما كنت أبحث عنه، المذهب الزعنوفي في النقد صرخة جديدة لا يملك الأدباء والنقاد أمامها سوى الاستسلام والتسليم لي بالقيادة والريادة، سأحطم بهذا المذهب كل المذاهب السابقة، ولن أسمح للاحقة بالتسلق على زعنوفتي، الزعنوفة هي التي تحرك السمكة، وأنا الذي أحرّك الأدب والنقد!.

ولكني أخشى أن يفهموا أنني لست زعنوفة سمكية، وإنما زعنوفة ضأنية، وهذا ما يجعلني أتردد قليلا في هذه التسمية، لأن الزعنوفة الضأنية زائدة سوداء خلف الظلف لا تقدم ولا تُؤخَّر.

لا، لا تَهْمُنِي آراؤهم، فأنا الذي أَنْظُرُ، كما أنه لا بُدَّ في اسم المذهب النقدي الجديد من أن يحتمل التأويلات الكثيرة، إلى جانب احتمال التعبير عن مضامين مختلفة ومتعددة بتعدد الأفهام والأذواق، وإلا فكيف سينشغل الناس بي وبمذهبي؟

انقطع قليلا عن المتابعة، علا شخير، رأى نفسه يلبي الدعوة، ها هو ذا يدخل القاعة، وصوت شخيره يعلو ويعلو، صدره يرتفع وينخفض، أصوات تطنُّ في أذنيه، وكأنها أصوات الجمهور الذي يشتد في التصفيق ترحيبا به! رأى نفسه يتحرك، يتقدم من المنصة، استمع إلى بعض مقدمي الأعمال الأدبية، لم يطق ما سمعه، خطف السماعة، أشداه تتراقص، والزبد يتناثر، الجمهور يحتج، أصوات تعلو وتنخفض، احتجاجات صاخبة، عيون مليئة بالغضب، قبضات مهددة متوعدة، ألسن تصرخ في وجهه:

خسأ الزعانف، خسأ الزعانف، خسأ الزعانف!

تراجع الناقد الزعنوفي عن المنصة، ظل يتراجع، تعثر فسقط، أخذت نعال الجمهور توسعه ضربا، وأرجلهم ركلا، تلوَّى، وتألَّم، حاول الفرار فقام هاربا فزعا، فاصطدم بالجدار!

صحا على أثر الصدمة، فتح عينيه جيدا، تَلَفَّت حَوْلَهُ، ماذا أرى؟!
يا إلهي، لازلت في غرفتي، كُلُّ ذلك أوهام وأحلام، كل ما في الأمر أنني
سقطت عن سريري!.

تحسّس نفسه، حمد الله - وهو يعود ثانية إلى فراشه- أنه لم يكن
في القاعة، أحسّ براحة عظيمة وهو ينعي إلى نفسه بيان وفاة المذهب
الزعنوفي!.



الجاهز

الخوف المتربّع في قلب سعيد عبد الباقي المحاسب بالخبرة، الذي لم يُكمل تعليمه الجامعي كان يحاصره، ويشدّ وثاقه، ويضغط على عنقه، على الرغم من أنه لم يتعرّض مرة واحدة للعقاب، هذا المجهول السبب جعله يسلك كلَّ وسيلة إيجابية للإفلات من آثاره.

ومع ذلك فإن كلَّ سلطة تُرهبه، فهو يطيع والده طاعة عمياء، لأنَّ نبرته قوية، وأوامره حازمة، وهو يحفظ دروس الأستاذ عقاب عن ظهر قلب، لخشيته من عصاه، ومن شاربيه الغليظين المعقوفين.

أما سلوكه، وعدم مشاركته في المظاهرات، فلما تختزنه ذاكرته من قسوة رجال الشرطة.

وحرصه على أن يكون زوجاً مثالياً ينبع من تهديد زوجته بالانفصال عنه، لو فصل من عمله، وهذا ما يجعله يشعر بالرعب الحقيقي، فزواجه منها بالنسبة له كان من رابع المستحيالات، فهل ذلك راجع إلى جمالها. أم إلى إحساسه بدمامته؟!

انضم إلى موظفي الحكومة الصغار مجبراً، أمضى سنوات عديدة وهو يراوح مكانه في الوظيفة الحكومية، والمرتب اليسير الذي يحصل عليه، لم يكن كافياً لتغطية المصروفات.

تحت ضغط زوجته، والطفرة الاقتصادية، وازدياد الاحتياجات استقال من وظيفته، ليعمل موظفاً للحساب في شركة تجارية.

مضى عليه أكثر من خمس سنوات في هذه الشركة وهو يعمل بجهد، ولم يتغيّب يوماً، ولم تمسك عليه إدارة المحاسبة خطأ واحداً.

أعماله منضبطة، وحساباته متقنة، وكل ما يُطلبُ منه يجهز فوراً، وكان زملاؤه يتندرون عليه حتى إن أحدهم قال مازحاً: لو أنه كان بين جن سليمان عندما طلب عرش بلقيس لسبق الذي عنده علم من الكتاب.

ولهذا أطلقوا عليه لقب (الجاهز!)

كان سروره بهذا اللقب، لا يعادله سوى ذلك الخوف الخفي الذي يضمّره من زيارات المدير المفاجئة، أو لأولئك السعاة الذين يأتون أحياناً لاستدعاء الموظفين إلى مكتب المدير. فكلما رأى واحداً منهم

مقبلاً على مكتبه انغمس أكثر في عمله، ومِنْ طَرَفٍ خفي يأخذ بمراقبة زملائه والساعي القادم، وكلّما اقترب وقع أقدام الساعي ازدادت ضربات قلبه حدّةً وسرعةً، حتى ليخشى أن يسمعها زملاؤه، فيفتضح أمره.

وهو الجاهز المعتد بقدراته الحسابية، والمدّعي بأنه يعمل لإرضاء ضميره لا خوفاً من أحد.

ويتمادى في هذا الادّعاء، ويقول: إنّ شركات كبرى عرضت عليه العمل مديراً لحساباتها، ولكنه يرفض من باب رد الجميل، وقرب المكان، والتعوّد على الزملاء، والفلوس ليست كل شيء.

كان هذا الادّعاء يخفّف إلى حدٍّ ما من حدّة الخوف التي يستشعرها على وظيفته.

وإذا كان ادّعاؤه على الأشهاد، فإنّه يعترف بينه وبين نفسه بأن شهادته المتدنية أصبحت بلا قيمة أمام تلك الشهادات الجامعية، والتخصصات العليا.

وحرصه على مرتبه العالي الذي يفوق خمسة أضعاف مرتب الحكومة، ولأجله خاطر بترك وظيفته؛ يجعله يعرض على عمله بالنواجذ، ويمرُّ على خاطره دعوة أحد القادة لشعبه للثبات بعد هزيمة جيشه (بأسنانكم وأظافركم!) يضحك بصوت مرتفع، وهو يقول: ماذا تنفع الأسنان والأظافر في وجه الصواريخ وقنابل النابالم الحارقة؟

ثم يصمت، وكأنه ارتكب فعلاً فاضحاً، ومن فوق نظارته يُطلُّ برفح حاجبيه، ففعلُّ أحداً من زملاء المكتب لاحظته وهو يخرج عن وقاره المعهود، وتقليده الجاد.

أخذت ضربات قلبه تتسارع وهو يرقبهم واحداً واحداً، انشرح صدره عندما رآهم لاهين عنه، عاد إليه بعض اطمئنانه، لكنّه ظلّ موسوساً من أنّ أحداً رآه أو سمعه فينقل ذلك للمدير.

دارى اضطرابه، وانغمس أكثر في مراجعة وتدقيق ما يقبّع أمامه من فواتير وسندات وسجلات!.

أحسّ بالآلام مغص، حاول أن يتثبت، أثار رجفة خفيفة ألمت بأطرافه، أخذت قطرات العرق تتنزّى من جبينه، ترك ما بيده، وقام مسرعاً، ودخل الحمام، خرج بعد أن غسل وجهه، وأحسّ بشيء من الانتشاء، عاد وهو يرسم بسمة الثقة على محياه.

ماذا؟ من هذا؟ من ذاك الذي يقف عند مكتبي؟

غامت عيونه، رقصت ركبته عندما تأكّد أنّ دعاساً الساعي هو الذي ينتصب أمام مكتبه بشحمه ولحمه!.

كانت الأمتار الخمسة التي تفصله عنه تمثّل زمانَ رواية عميقة الجذور، ممتدة الفصول، فلو أنّك سجّلت كلّ خاطرة ورعشة، وكل صورة ونبضة لخرجت بملف ضخّم كهذه الملفات التي تقبّع على مكتبه.

لم يعلم كم من الوقت استغرقت هذه الأمتار الخمسة، لملم أطراف

شجاعته، وبلغ ريقه وهو يحاول الجلوس دون النظر إلى الساعي، الذي بادره بشيء من الجفاف: المدير يريدك لأمر هام!

- المدير!؟ من!؟ أنا!؟ لعله غيري، ما الأمر الهام!؟

لم يعطه الفرصة: الآن يريدك.

حاول الوقوف، ولكنّ رجليه أبتا عليه، فأجبرهما على الوقوف معقداً بيديه على سطح المكتب، ثمّ بدت خطواته الذاهلة توقع نغمات تعليقات زملائه الساخرة:

- يا حظ من يقابل المدير!

- وجه المدير ولا وجه السعد!

- أكيد علاوة تقدير، أو ترقية لمدير!

- ماء من تحت تبن!

- تحت السواهي دواهي!

كانت هذه التعليقات تصفعه وتدفعه.. خلف الباب وراءه وهو يلهث خلف الساعي.

ابتلعه الممرّ الطويل، وقف أمام اللوحة التي تشير إلى مكتب المدير.

انسرب مع الداخلين، أمره السكرتير بالانتظار حتى يحين دوره،

كانت الثواني ساعات، والدقائق أياماً.

ما الأمر الهام الذي يريدني المدير لأجله؟

هل أمسك عليّ خطأ؟ لا.. لا، كل المدققين الحسابيين أشادوا بدقتي.

هل يريد نقلني كما يشاع إلى أحد الفروع؟ تذكر فجأة أنه يُقدّم خدماته المحاسبية لأحد المحلات التجارية في حارته بعد انتهاء دوامه، فهل وشى أحد بي؟ ماذا سأقول له؟ سأعترف، لا.. لا، ليس هناك دليل، قد يفصلني إذا اعترفت، اقشعرّ بدنه لهذه الفكرة، فزوجته قد تفصل عنه لو حصل ذلك.

لا أظنه يعلم بهذا الأمر، ربّما يريد مني التحضير للميزانية الجديدة.

الميزانية...؟ بعد أربعة أشهر، وعادةً يرسل لنا تعميماً، أو لعله يريد استبدال الحاسوب بالسجلات؟

الخوف كل الخوف من هؤلاء الخريجين الذين لا يُحصى عددهم، والذين تقدّموا لشغل وظيفة محاسب، يتنهد وهو يرى حملة الماجستير والدكتوراه، أحسّ بالمغص مرّة أخرى، ولكن...!!

لِمَ كُلُّ هذا التشاؤم؟ ألا يمكن أن يكون الأمر كما قال زملاؤه، ترقية أو علاوة؟ صحيح.. رئاسة القسم شاغرة منذ استقالة الرئيس وانتقاله للعمل بالخليج، وأنا أحق بها للأقدمية والمواظبة وتقارير الامتياز.

أو كما قيل: إن نائب المدير سيحال على التقاعد، وليس من يستطيع

شغل هذه الوظيفة غيري. ولكن الشهادة الجامعية.. أخ.. أخ! لو كنت أكملت دراستي..!

دقات قلبه قفزت من بين ضلوعه عندما فتح باب مكتب المدير،
أوماً إليه السكرتير بالدخول.

لو أنّ قيداً يُثقل رجليه، أو جبلاً يجثم فوق كتفيه لكان أهون عليه.
مضى يجرُّ خطاه، دخل.. ومن حسن حظه كان انشغال المدير
بمكالمة هاتفية قد أعطاه الفرصة كي يغيّر لونه الممتع، ويهدّي من
روعه، ويطرّي جفاف ريقه.

ما أن وضع المدير السماعة حتى نظر إليه وقال: ما الذي أتى بك؟
أنا طلبت سعيد عبد المقصود لا سعيد عبد الباقي!
كانت هذه العبارة بمثابة الترقية إلى نائب مدير.



obeikandi.com

موت شجرة الكرز

هل هي حقاً تأخذ من الشفق لون حباتها؟ ذلك اللون القرمزي
المشرب بجمرة هادئة، والمفصول بخطِ هلاكي يوحي بقمر ابن ليلتين.

طيف ابتسامة يُغشِّي ملامحه، وهو يتذكر قول الأخطل الصغير:

أنا لا أُصدِّق أن هذا القرمز المشقوق فمٌ

بل وردة مبتلة حمراء من لحم ودمٌ

إنَّ اللَّمَى.. هو اللَّمَى، والثغر.. هو الثغر.

إنَّها منجم ياقوت، يتدفق عبر كُرَاتٍ تتعانق فوق رأسه، وتلمع في ضوء

الشمس، الذي يسرق من بين لحظات تمايل أغصانها بفعل حركة النسيم لحظة انتشاءٍ بالتجوال في أحشائها، ويغتصب قبلةً بالوقوع على خدٍ طفلته، التي كثيراً ما تأخذ موقع أبيها المفضل، وتقلعُ بعض حركاته.

لم تكن شجرة الكرز تمثل أيّ شجرةٍ كمئات ملايين وبلايين الأشجار، التي تتبع على سطح الكرة.

وعلى الرغم من أنّ حديقة بيته تزدان بأنواع كثيرةٍ من الأشجار المثمرة والمزهرة، إلاّ أنّها مركز الدائرة، وقطب الرحي، وبؤرة الاهتمام.

هل تغار امرأة من شجرة؟ هكذا كان يشعر، عندما تلومه زوجته على عنايته الزائدة بها، وعلى جلوسه الدائم تحتها، فمقعده الأثير يتناول عمره كما تتناول أغصانها، ويتضخمُ جذعها.

أما معرفته بكلّ تفاصيلها، ومسامٍ لحائثها فتكاد تفوق معرفته بملامح أهله، وجزيئات بيته، كما تقول زوجته: إنه يُعوّذها قبل خروجه وعند منامه.

هو يرى أنّها أنسهُ وحضنه الدافئ، الذي شهد ولادات إبداعاته، وشاركه فيها.

كلُّ برعم، وكلُّ وريقةٍ، بل كلُّ انحناءٍ وانثناءٍ، وتجعيدة، قد عايشت تجربته في الحياة والعلم والأدب والوظيفة، لقد انتشقت كتبه وإبداعاته رائحتها، وتلوّنت بألوانها، وتشرّبت دم حبيبات كرزها.

كانت كالزوجة المحببة، تأخذ بيده، وتتناول معطفه، وتعلقه على كتفها بانتظار أوامره، وكثيراً ما تأبّطت حقيبته فوق جذعها، أو حرّكت بنسيم أغصانها أوراق دفاتره، وكأنها تُعينه على تقليبها.

وإذا ما أحسّ بإرهاق العمل، أو لذعات الصيف الحارة مدت يدي أغصانها لتمسح حبيبات العرق التي يتفصّد بها جبينه، وتبعث في جسده نشوة لا يدري مصدرها، أهو طيب مذاق ثمارها؟ أم ظلّها الرفيف المنعش؟ أم ذلك التشكيل المتمم لأغصانها؟ أم تلك الرؤية الداخلية التي ترى في انتصابها أمام بوابة المنزل حارساً أميناً؟ أم أنها كما يدّعي هي وحيّه؟ أم لكل ذلك مجموعاً؟

لم يكن هازلاً عندما كان يقول: إنها تستحق نصف مكافأته التي يحصل عليها من نشر بعض نتاجه الأدبي، ومن حقها عليه أن يصرف وكده وجهده، واهتمامه وعنايته بها.

فهو الذي يتولى تقليبها بنفسه، ويرشها بيده، ويتابع سقيها وتسميدها، إنه يأخذها بيديه كعاشق ولهان، عندما يتناول بطرف مقصّ الأشجار عوداً جافاً من هنا، أو عوداً من هناك، وكأنه يُقلم أظافر طفلة الصغيرة، إنه يخشى أشدّ الخشية من أن يُخطئ مقصه، فيزيد عن الحد المطلوب بقصّ غصنٍ رطيب.

وإذا ما داعبه غصن بأن تشبّث به، أو أخذ قميصه، أو عاكسه باصطياد عضوٍ من أعضائه، فإنه يأخذه بين يديه بحنوزائد، ويعيده إلى مكانه.

لم يخرج يوماً دون أن يمرّ بها، ويطيل النظر إليها، وما دخل قط قبل أن يلّمّ بها، وكأنّه يودعها أو يسلمّ عليها.

جلسة العصر تأخذ العقل وفصل الربيع بكامله، وتضيف إليها جلسة الليل الهادئة صيفاً، ولم يكن يفارقها شتاءً، فأوقات الضحى مثالية وخرافية كما يزعم.

كان انعقاد مؤتمر الرواية، ودعوته للمشاركة قد شغله بعض الشيء عن التدقيق في ملامح أليفته، إلا أنّه - وقبل سفره - لاحظ شيئاً غريباً، فبعض فقاعات الصمغ بدأت تظهر في بعض أنحاء جذعها.

لم تشغله روايته (عنقود الكرز) التي صحّح تجربتها الأخيرة لتقدمها للمؤتمر عن بعض ما ساوره من قلق.

لذا فإنه - وعلى الرغم من موعد السفر عصراً - قد أجرى بعض الاتصالات مع من يعرف اهتماماتهم بالزراعة،طمأنوه بأن الأمر لا يعدو تنقيساً مثل تعرّق الإنسان والحيوان، والشجر يتعرّق كذلك، آخرون أرجعوا ذلك إلى زيادة الرطوبة، وتمّ نصحه بعدم سقيها مدة للتأكد.

اطمأنّ إلى هذه التحليلات، فأوصى زوجته بأن لا تدع ماء الشطف يصل إليها ريثماً يعود.

انقضت أيام المؤتمر، وكم كان سعيداً بالثناء الذي نالته روايته (عنقود الكرز) لملامحها الفنية الخصبة، وإيجاءاتها المشعة،

ورمزيتها الشفيفة عن اكتمال العنقود باكتمال حباته جمالاً وفناً وروعة
وقيمة وقوة، وكم تخسر اللوحة بتشوّه حبةٍ أو انضراطها.

لكنّ هذه السعادة كان يشقها خطُّ من الهم، كذلك الخط الذي
يفصل حبة الكرز إلى نصفين مع فارق الألم.

تخطّى العائدين وهو بحثُ الخطى للوصول والاطمئنان على
شجرته.

عبارات ترحيب مستقبليه واستفساراتهم لم يقابلها سوى إجابات
سريعة ومقتضية، تبعها بالانتقال إلى الحديقة، وما أن وقعت عيناه
عليها، حتى هاله المنظر، إنّه منظر تلك الدموع السخية المنهالة التي
جلّت شجرة الكرز، فلم يبق في جسدها قدر إصبعٍ إلاّ وتفجّر منه
الصمغ.

أتحزن الشجرة على فراق أليفها وصاحبها؟ كثيراً ما قرأ أخباراً
وحكايات عن ذلك، ولكنّه كان يعدُّ ذلك من الترهات، ومع ذلك فما هو
قد رجع، وعليها أن تفرح برجوعه، وتتوقف عن البكاء.

مضى اليوم الأول والثاني والأمر يسير من سيئٍ إلى أسوأ، أ تكون
دموع الفرح؟

لا، لا بُدّ من استشارة مهندس زراعي، وكان العلاج الموصوف
مبيداً للرش، وتقويتها بإضافة سمادٍ يحتوي على الحديد، كما نُصح
بغسل جذعها بالماء والصابون.

الأيام تمرُّ بطيئةً ثقيلةً، ومرض شجرة الكرز يأخذُ كلَّ وقته، حتى إنَّه أخذَ إجازةً اضطراريةً.

الصحف اليومية التي تقبع على الطاولة الخشبية التي تحمل أنباء الحروب والزلازل، والفيضانات والحرائق، والقتل والموت.. لم تكن تثيره كثيراً بمقدار ما يثيره خبر عن أمراض الأشجار وأسبابها وكيفية علاجها، مع أنه بدأ يعطف على قراءة تلك الأخبار، ويتابع حتى أخبار النعي والشكر على التعازي.

الأمير يزداد سوءاً، بدأت بعض أعضائها تتيبس، ثمار الكرز أخذت تضمر.

أسقط في يده عندما ذهب إلى الاستشاري في أمراض الأشجار بدائرة الزراعة، وأخبره أنَّ شجرته في النزع الأخير، وعليه أن يستسلم لقضاء الله، وحالتها ميؤوس منها، ولا ينفع فيها علاج.

كان الحوار الدائر بين الاستشاري وبعض زوّاره يتمحور حول الاستغراب من كثرة الأمراض التي بدأت تصيب الأشجار! علّق أحدهم: هذه الأمراض لم نعرفها إلا بعد اتفاقية السلام.

وما علاقة اتفاقية السلام بأمراض الأشجار؟

أكد أنَّ إسرائيل عن طريق تسريب بعض المبيدات المحرّمة دولياً تريد محاربتنا اقتصادياً.

تدخّل في الحديث ثان، وقال: لا تستبعدوا هذا الأمر، فالذي يستعمل اليورانيوم المنضّد ضد الأطفال، ويضيف لماء الشرب مواد تصيب بالعقم، وما اتفاقية المياه وتلويثها وإرسالها لنا إلا دليل.

ردّ المستشار: إذا قلت لكم.. إن إفساد إسرائيل قد يكون وراء جنون البقر، والحمى القلاعية، قد لا تصدّقون!.

تدخل أحد الجالسين الذي كان مشغولاً بقراءة مطوية عن أنسب الأوقات للزراعة قائلاً: سمعتم عن ملكات النحل المريضة التي سرّبتها إسرائيل إلى مصر؟!.

هزّوا رؤوسهم، وهمهم أحدهم: إنهم لا يتركون شيئاً حتى الذكريات الجميلة يقتلونها.

انسحب من بينهم، ومضى ليقوم بإجراءات الدفن، ومع أول ضربة معول، انتصبت مكانها قصيدته الرثائية (إسرائيل تقتل الأشجار) ومن خلال زجاج النافذة كان التلفاز ينقل أخبار الأرض المحتلة، وجرافات العدو الصهيوني تهدم البيوت وتقتلع الأشجار من جذورها.



منشورات رابطة الأدب

الإسلامي العالمية

- ١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة.
- ٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.
- ٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.
- ٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. عبدالباسط بدر.
- ٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.
- ٦- ديوان «البوسنة والهرسك»، مختارات من شعراء الرابطة.
- ٧- لن أموت سدى «رواية»، الكاتبة جهاد الرجبي.
- ٨- ديوان «يا إلهي»، محمد التهامي.
- ٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.
- ١٠- ديوان «مدائن الفجر» د. صابر عبدالدايم.
- ١١- العائدة «رواية»، سلام أحمد إدريسو.
- ١٢- محكمة الأبرياء «مسرحية شعرية» د. غازي مختار طليمات.
- ١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.
- ١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» د. جابر قميحة.
- ١٥- ديوان «في ظلال الرضا»، أحمد محمود مبارك.
- ١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.
- ١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.
- ١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليلة الحمد.
- ١٩- د. محمد مصطفى هدارة، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.
- ٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.
- ٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية»، محمد رشدي عبيد.

- ٢٢- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».
- ٢٣- أدب المرأة .. دراسات نقدية من بحوث الملتقى الدولي للأدبيات الإسلاميات.
- ٢٤- الآمال صارت آمالاً، رواية من الأدب التركي، تأليف د. نور الله كنج، ترجمة د. عوني لطفي أوغلو.
- ٢٥- نحو كوكب الحرية - رواية من الأدب الفارسي، تأليف محمود حكيمي، ترجمة عثمان أيزدبناه.
- ٢٦- مملكة النحل - رواية من الأدب التركي - تأليف علي نار، ترجمة كمال أحمد خوجه.
- ٢٧- أقياس - ديوان شعر - طاهر العتباتي.
- ٢٨- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د. كمال سعد خليفة.
- ٢٩- ديوان «عقد الروح»، نبيلة الخطيب.
- ٣٠- المفسدون في الأرض - مجموعة قصصية - فاطمة محمد شنون.
- ٣١- فوهة الجرح - مجموعة قصصية - سكيئة قدور.
- ٣٢- الأرض الجريحة - مجموعة قصصية - سورية إبراهيم مروشي.
- ٣٣- نوبة قلبية - قصص قصيرة من الأدب الأردني - ترجمة: د. سمير عبد الحميد إبراهيم.
- ٣٤- مخيم يا وطن - رواية - دعد رشاش الناصر.
- ٣٥- ديوان: «شدو الغرباء»، أسامة كامل الخريبي.
- ٣٦- ديوان: «إسراء.. لواد غير ذي زرع»، محمود محمد كلزي.
- ٣٧- نحو منهج إسلامي للرواية.
- ٣٨- الشاعر والمفكر الإسلامي: محمد إقبال.
- ٣٩- مسرحيات إسلامية قصيرة.
- ٤٠- الكُنُتي - مجموعة قصصية - د. عبدالرزاق حسين.

صدر في سلسلة أدب الأطفال

- ١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.
- ٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.
- ٣- تغريد البلابل - شعر - يحيى الحاج يحيى.
- ٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.
- ٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.
- ٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.
- ٧- باقة ياسمين - قصص للأديب التركي علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.
- ٨- أغنية للغيمة البعيدة - شعر - أحمد زرزور.
- ٩- مغامرات عصفور - قصص - عبدالجواد الحمزاوي.
- ١٠- شيماء - قصص - حسن الغشتول.
- ١١- مدينة الرحمة - مسرحية - محمود عبدالله محمد.
- ١٢- بيض من ذهب - مسرحية - لطفي عبدالمعطي مطاوع.
- ١٣- سجين الهاء والواو - مسرحية - محمد عبدالحافظ ناصف.

● تطلب من رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨-٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

web page adress: www.Adabislami.org

E-mail: info@adabislami.org

المؤلف في سطور

- عبدالرزاق الحاج عبدالرحيم حسين.
- مكان وتاريخ الميلاد: القدس، ٤/٨/١٩٤٩م.
- الجنسية: أردني.
- العمل الحالي: أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وعمل في جامعات: تيارت بالجزائر، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وبالأحساء، في السعودية.
- نال جائزة في القصة القصيرة من نادي القصيم الأدبي، ومن نادي أبها الأدبي، وجائزة أبها الثقافية لأدب الأطفال عن كتابه (رؤية في أدب الأطفال).
- له أكثر من ٧٢ كتاباً في الدراسات والتحقيقات الأدبية والنقدية، منها:
 - الأطفال في التراث العربي، وفي النص العباسي والأندلسي: دراسة تحليلية، والأندلس في الشعر العربي المعاصر، ومكة المكرمة في عيون الشعراء.
 - وله في الإبداع الروائي والقصصي: الرجل الظل (رواية)، وعصفور البحري (رواية)، وبسام يعود، وعندما يكتمل القمر (مجموعة قصصية)، والصراع (مجموعة قصصية).
 - قصص للناشئة: أسد الإسلام، وأبو محجن خلف القضبان، وجرعة إيمان، والبصير، وأصحاب البستان، والساقية، ومهاجرات إلى الله، والخادم الصغير.
 - سلسلة قصص للأطفال بعنوان: الحيوانات تتكلم وتتألم تضم ٦ قصص.

- له سبعة دواوين شعرية: دوائر القمر، أغنية للزيتون، ردّوا الخيول، من يوميات قاتل محترف.
- ومن شعره للأطفال: أعطر السير (في سيرة الرسول ﷺ)، ومعاً إلى القدس، وأغاني الحروف.
- شارك في حضور كثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية، منها مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول عام ١٩٩٠م، وفي القاهرة عام ٢٠٠٢م، وفي فاس عام ٢٠٠٤م. وندوة عن الأدب الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، ومؤتمر دولي حول قضايا الطفل من منظور إسلامي بالرباط، أقامته منظمة (الإيسيسكو) ٢٠٠٢م. وندوة اللغة العربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ٢٠٠٣م، وغيرها.
- العنوان الحالي: جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ص.ب ١٧٦٩
الظهران ٣١٢٦١، المملكة العربية السعودية
جوال ٥٠٧٩٧٣٤٦٩ (+٩٦٦)
بريد إلكتروني: ahussein@kfupm.edu.sa

